

وَمِنْ فِتْنِ الدُّنْيَا أَجْرُنَا تَكْرَمًا وَمَنْ كُلُّ هَوْلٍ فِي الْمَعَادِ مَهُولٌ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا .

## الجلس الحادي والأربعون

### في مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الذي رفع السماء بقدرته ، وأدار دوائر الأفلاك وبسط الأرض بمشيئته ، ومهد لها للسلاك ، وسخر الفلك ومهد الملك ، ودبر الأملاك ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي خلق الموت والحياة ، وقدر النجاة والهلاك القديم الخلاق ، الذي له الخلق والأمر ، ويده الإطلاق والإمساك ، الذي أنشأ اللوح والقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم ، ووهب له العقل الكامل والفهم والإدراك ، منقذ الغرقى من لجج البحار بعد معاينة الأخطار والهلاك ، ومنجي الهلكى بعد انقطاع الحيل والاستدراك ، ومطلق الأسرى من القيود الشديدة الوثاق ، ومسعفهم بالإطلاق والفكاك ، الغني عن العباد يأمرهم بالطاعة والإيمان ، ولا يرضى لهم الكفر والإشراك ، الذي لا تنفعه الطاعة ، ولا تضره المعصية ، وإنما يأمرك أيها العاصي بطاعته وعن معصيته ينهاك ، ليريك بعين يقينك ويبين لك أمر دينك ودينك ، فراقبه واتقه واحذر من معاصيه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وحافظ على الصلوات التي بها أمرك وأوصاك ، وقف بين يديه في الأسحار بالذلة والانكسار وقد جاد عليك بنعمه الغزار وبلغك مقصودك ومناك ، أما أحسن منشاك ومرباك ، أما أعزك وأكرم مثواك ، أما ألهمك رشدك وتقواك ، أما وهب لك العقل وإلى الإيمان هداك ، أما خولك في نعمه وأعطاك ، أما أمرك بطاعته ووصاك ، أما حذرك عن معصيته ونهاك ، أما دعاك إلى بابه وناداك ، أما أيقظك في السحر بلطف خطابيه وناجاك ، أما وعدك بالفوز والجزاء في أخراك ، أما سألته ودعوته فأجاب سؤالك ودعاك ، أما استغثت به في الشدائد فأعاثك منها ونجاك ، أما عصيته فسترك بذيل حلمه وغطاك ، أما أغضبته مراراً وأرضاك ، أفيستحق منك أن تبارزه بذنوبك وخطاياك ، ويمدك برزقه وتمد إلى معصيته خطاك ، وتستخفي من الناس ولا تستخفي من الله وقد شاهدك وراك ، إلى متى أنت غريق في بحر غيك وهواك ، إن أردت النجاة فاركب سفينة الندم واقلع بريح التوبة إلى مولاك ، وألق نفسك إلى ساحل الإخلاص وقد جاد عليك بالإخلاص ونجاك .

## [ كان وكان ]

|                     |                     |                     |
|---------------------|---------------------|---------------------|
| يا من يعاهد وينكث   | خف من إلهك واستحي   | واذكر هجوم المنايا  |
| فما المراد سواك     | إلى متى أنت غافل    | تنسى مصيرك في الثرى |
| وأنت في اللحد وحدك  | وقد جفاك أخاك       | إن كنت عاصي مثلي    |
| افق وقم وابكي معي   | على الذنوب والخطايا | عسى تنال منك        |
| عند استماع الملهي   | تحضر بنية صادقة     | وفي صلاة توسوس      |
| قل لي فمن أغواك     | احذر مصايد ذنوبك    | فكم رمت لك من شرك   |
| تروم صيدك وكيدك     | وشقوقتك وأذاك       | ويحك تنبه لنفسك     |
| واعمل لما تلقى غداً | إذا أتيت القيامة    | وقامت الأملاك       |
| وقمت تقرأ كتابك     | خجلان من قبح الزلل  | وما كفى ذاك حتى     |
| تشهد عليك أعضاك     | وإن أتيت جهنم       | استقبلك زبانية      |
| وقال مالك مالك      | غفلت عن مولاك       | تذكر غرور الدنيا    |
| وتذكر الذنب الردى   | لم لا سبقت بتوبة    | هذا العذاب يداك     |
| كم كنت تجني وتأمّن  | ولم تخف ربّ السما   | هذا الذي قد لقيته   |
| بما جنته يداك       | كم قد سمعت المواعظ  | تتلى وما عندك خبر   |
| ولا جرت لك دمة      | ويحك فما أقساك      | إن كنت أضمرت توبة   |
| فهذه أوقاتها        | فانهض بعزم صادق     | وتسبب إلى مولاك     |
| وقل إلهي إني        | أخطأت فاغفر زلتي    | فمن يجير العاصي     |
| من الذنوب سواك      | وليس لي من وسيلة    | إليك إلا المصطفى    |
| ومن إليك رفعته      | دون السورى ورآك     | صلى عليه وسلم       |
| رب السموات العلى    | وآله والصحابه       | السادة النساك       |

سبحان من نظر بعين اصطفائه إلى خاصة عبيده ، وجعل قلوبهم بيوت توحيده ، وسرائرهم مقراً تفريده ، وصدورهم مصادر ذكره وتمجيده ، فكلما طلع لهم من أفق التوفيق طالع ، أو لمع لهم من بروق التحقيق لامع ، انشروحت القلوب لذكر المحبوب ، فطاب لها المشروب وكشف لها المحجوب . قال أبو زيد رحمه الله : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي إلى أن سقتها إليه وهي تضحك فمن عرف الله ذلّ له كل شيء . وقال الأصمعي رحمه الله : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فينا نحن سائرون ، إذ خرج علينا أسد عظيم الحلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق . فقلت لرجل إلى جانبي : أما في هذا الركب رجل يأخذ سيفاً ويردّ عنا هذا الأسد ؟ فقال : أما رجل فلا أعرف ، لكنني أعرف امرأة تردّ عنا بغير سيف ، فقلت : وأين هي ؟ فقام وقمت معه إلى هودج قريب منا ، فنادى : يا بنية

انزلي وردي عنا هذا الأسد ، فقالت : يا أبت أيطيق قلبك أن ينظر إليّ الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ؟ ولكن يا أبت قل للأسد : ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم إلا ما عدلت عن طريق القوم . قال الأصمعي : فوالله ما استتم كلامها حتى رأيت الأسد ذاهباً أمامها ، هذه والله دلائل الصالحين ، وهذه أمارات العارفين :

|                            |                          |                          |
|----------------------------|--------------------------|--------------------------|
| فاز قوم رقوا سماء المعالي  | باجتهاد لهم وحسن الفعل   | فهم تدفع الخطوب عيانا    |
| وبهم قد بدت شمس الجمال     | كل من لم تكن دعاويه حقاً | فضحته شواهد الأحوال      |
| ويك يا قاصر العزيمة هذا    | مورد الأسد مرتع الأشبال  | ما وصال الحبيب سهل ولكن  |
| إن ترد فابذل العزيز الغالي | يا ضعيف السلوك هذا طريق  | فيه دون الوصال حد النصال |
| فتجرد عن الدنيا وتفرد      | ذاك زاد من خالص الأعمال  | ثم لا بد من دليل بصير    |
| ومعين على صروف الليالي     | فإذا خفت من إلهك خافت    | منك أسد الثرى مع الأبطال |

[ قال سعيد بن إسحاق البصري رحمه الله ] : دخلت في السحر إلى بئر زمزم ، فإذا شيخ قد أتى البئر فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته وشربتها فإذا هو سويق وسكر لم أذق قط أطيب منه ، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت من الغد في السحر إلى بئر زمزم فإذا الشيخ قد دخل وملأ الدلو وشرب فشربت فضلته فإذا الماء مضروب بالعسل والطيب لم أذق أطيب منه ، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ، ثم عدت من الغد في السحر إلى بئر زمزم فإذا الشيخ قد دخل فملأ الدلو وشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا لبن مضروب بالسكر لم أذق أطيب منه ، فقلت له : يا شيخ بجرمة هذا البيت عليك من أنت ؟ قال : أو تكتم ذلك حتى أموت ؟ قلت : نعم ، قال : أنا سفيان الثوري :

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| بذكرك يا رب الوري نتنعم       | فقد خاب قوم عن سبيك قد عموا |
| ألست الذي قربت قوماً فوافقوا  | ووفقتهم حتى أنابوا وأسلموا  |
| وقلت استقيموا منة وتكرّما     | فأنت الذي قومتهم فتقوموا    |
| لهم في الدجى أنس بذكرك دائماً | فهم في الدياجي ساجدون وقوم  |
| نظرت إليهم نظرة بتعطف         | فعاشوا بها والخلق سكرى ونوم |
| لك الحمد عاملنا بما أنت أهله  | وسامح وسلمنا فأنت المسلم    |

[ قال أبو يوسف الغلسوني رحمه الله ] : كنت يوماً جالساً بمسجد الشام فدخل علي إبراهيم ابن أدهم ، فقال لي : يا غسلوني رأيت اليوم عجبا . قلت : ما هو يا أبا إسحاق ؟ قال : وقفت على قبر من هذه المقابر ، فانشق لي عن شيخ خضيب ، فقال لي : يا إبراهيم سل فإن الله عز وجل قد أحياني من أجلك . قلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : أتيت الله عز وجل

بعمل قبيح ، فقال لي : قد غفرت لك بثلاث : لقيتني وأنت تحبّ من أحبّ ، ولقيتني وليس في صدرك مثقال ذرة من شراب حرام ، ولقيتني وأنت خضيب وأنا أستحي من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار . قال : ثم التأم القبر على الشيخ . قال الغلسوني : قلت : يا أبا إسحاق ألا توافقني في زيارة هذا القبر . فقال : ويحك يا غلسوني عامل الله يرك العجائب ، واشتغل بحبه عن جميع الأجانب :

|                           |                            |                           |
|---------------------------|----------------------------|---------------------------|
| لو يعلم الناس عمن اشتغلوا | لما تهنوا بما به اشتغلوا   | بالأهل جادوا وكل ما ملكوا |
| والمال في حبه وما بخلوا   | عاشوا وفازوا هم الملوك وإن | ذلوا وإن أملقوا وإن خلوا  |
| لله قوم بالروح قد سمحوا   | واستصغروا قدرها وما جهلوا  | ذاقوا مدام الهيام فيه ولم |
| يحل لهم منزل ولا طلل      | وما تفانوا عن الوجود سدى   | إذ هم على قصدهم لقد حصلوا |

[ قال الليث بن سعد رحمه الله ] : حججت في بعض السنين . فلما أتيت مكة صليت العصر ، ثم طلعت إلى جبل أبي قبيس فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو ، فقال : يا رب يا رب حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا الله يا الله حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا حي يا قيوم حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا رحمن يا رحمن حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه . فلما فرغ قال : اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه وإن بردي قد خلق فأكسني . قال الليث : فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنب وليس على الأرض عنب يومئذ وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريكك ، فقال : ولم ؟ فقلت : لأنك دعوت كنت أنا أو من ، فقال لي : تقدم وسمّ الله تعالى وكل ولا تدخر منه شيئاً فتقدمت فأكلت فإذا عنب لا عجم فيه لم آكل قط أطيب منه فأكلت حتى شبعت والسلة لم تنقص شيئاً ثم قال لي : خذ أحب البردين إليك ، فقلت : أما البردان فأنا غنيّ عنهما ، ثم قال لي : توار عني حتى ألبسهما فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتنى بالآخر ، ثم أخذ البردين الذين كانا عليه فجعلهما على يديه ومضى فتبعته حتى أتى المسعى فلقيه رجل ، فقال له : اكسني كساك الله يابن عم رسول الله ﷺ ، فدفعهما إليه فلحقت الرجل . فقلت له : من هذا يرحمك الله ؟ قال : هذا جعفر بن محمد ، قال الليث : فطلبت له فلم أجده فتأسفت على فراقه :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أسائل الشمس عنكم كلما طلعت    | وأسأل البرق عنكم كلما لمعا    |
| لو منّ دهرى على طرفي برؤيتكم  | لكان أحسن إذ ما بيننا جمعا    |
| لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل   | إن الفؤاد لحبّ الغير ما وسعا  |
| مالي سوى عفوكم يا سادتي كرمًا | فالعبد في حبكم ثوب الهوى خلعا |
| منوا عليه بعفو منكمو كرمًا    | فألذنب قطع منه قلبه قطعًا     |

[ قال أبو نصير الصياد ] : مرّ بي بشر الحافي رحمه الله وأنا على باب الجامع وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة ، فقال : ما لي أراك في هذا الوقت ؟ قلت : ما في البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شيء يباع ، فقال : بالله المستعان احمل شبكتك وتعال إلى الخندق . قال : فحملتها وذهبت معه ، فلما وصلنا إلى الخندق ، قال لي : توضاً وصلّ ركعتين ففعلت ، فقال : سمّ الله تعالى وألق الشبكة ، فسميت الله تعالى وألقيتها فوقع فيها شيء ثقيل ، قال : فجعلت أجره فصعب عليّ ، فقلت له : ساعدي وأعني فإنني أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجرّ الشبكة معي فإذا فيها سمكة هائلة ، فقال لي : خذها وبعها واشتر بها مصالح عيالك ، قال : فحملتها إلى الباب فاستقبلني رجل ، فقال : بكم هذه السمكة ؟ فقلت بعشرة دراهم ، فقال : اشتريت فوزن لي عشرة دراهم فاشتريت لأهلي ما يحتاجون إليه ، ثم أخذت رقاقتين وجعلت فيهما من الحلوى وأتيت بهما إليه فطرقت الباب ، فقال : من ؟ فقلت : أبو نصر ، فقال : افتح الباب وضع ما معك في الدهليز وادخل ، قال : فدخلت إليه وحدثته بما صنعت ، فقال : الحمد لله على ذلك ، فقلت : إني هيأت للبيت شيئاً ، وقد أكلوا وأكلت معهم ومعني رقاقتان فيهما حلوى ، فقال : يا أبا نصر لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرج السمك ، اذهب فكله أنت وعيالك :

حاشاك يا ذا الفضل والامتنان      أخاف ضيقاً وبك المستعان      قد سودّ العصيان وجهي  
رحمت أسير القلب واللسان      فمن مجيري من ذنوب بها      قد انقضى العمر وضاع الزمان

ما لي سوى عفوك يا سيدي      ومن رجاء عفوك نال الأمان

[ قال محمد بن أبي الحواري رحمه الله ] : كان بالموصل رجل يسمى سعدون ، وكنت أحسن إليه فقلت يوماً : أخبرني ما كان سبب توهلك ؟ فقال : مررت يوماً في سياحتي لعلّي أصادف من يجلو قلبي ويعرفني الطريق إلى ربّي فرأيت رجلاً راكباً على أسد فخفت منه فناداني : أتخاف من مخلوق مثلك ؟ ثم طرد الأسد ومشى فتبعته وسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، فقلت له : بالذي أعطاك هذه المنزلة والقرب لديه إلا ما دللّني على الطريق إليه ، فقال : اجعل الدنيا لك سجنًا ولآخرة سكنًا وحصناً ، وعود عينيكَ البكاء والسهر والزم الخدمة في السحر وكن منه على حذر ، قلت : سيدي زدني . قال : يا سعدون أنت عاقل أم مجنون ؟ والله إذا عرّفك الطريق إليه سخر لك الوجود وأذلّ لك الأسود ، قلت : سيدي بالذي أطلعك على الأسرار وملأ قلبك بالأنوار إلا ما أذنت لي أن أصبحك بقية هذا النهار ، فقال : على شرط أن تكتم عني ما تراه ما دمت في الحياة . فقال : سمعاً وطاعة ، فقال : امض معي نخضر موت بعض الرجال فسار وسرت معه حتى أتى البحر ففرش رداءه وأمسك بيدي فجلسنا عليه حتى وصلنا

إلى جزيرة في وسط البحر فوجدنا رجلاً ملقى على ظهره وهو يعالج الموت ، فلما قضى نَحْبَه غسله وكفنه وصلينا عليه ودفناه مكانه فقلت له : سيدي من يكون هذا الرجل وما اسمه ؟ فقال : هذا عبد الوهاب وهو من السبعة الأقطاب ، وقد أعطيت مكانه فهممت أن أسأله عن نفسه وعن اسمه فنهرني ثم سار وتركني فبكيت بكاءً شديداً إذ صرت في الجزيرة وحيداً فسمعت قراءة القرآن على القبر وأنا لا أرى أحداً فاستأنست بذلك وجلست على القبر وأنا بين النائم واليقظان فرأيت الشيخ في المنام على هيئة حسنة فقلت له : يا سيدي بالذي جاد عليك بخلع القبول والرضا ما اسم هذا الشخص الذي تركني في هذه الجزيرة وحيداً ومضى فقال : هذا صاحب العلم الرباني عبد الله اليوناني ، وقد أعطي مكاني وفي غد يأتيك ويبلغك أمانيك ولكن إذا اجتمعت به قل له : لا تنس العهد الذي بينك وبينه . قال سعدون : ثم انتبهت ، وقد طلع الفجر فتوضأت وصليت وقرأت شيئاً من القرآن ورنقت فلم أشعر إلا وصاحبي ينبهني فقبلت يديه واعتذرت إليه فأخذ بيدي ومشى إلى البحر إلى أن وصلنا إلى البر . فلما هممت بالانصراف قال : وأين وصية الشيخ ؟ فقلت : يا سيدي قد علمتها وهي العهد الذي بينك وبينه ، قال لك لا تنسه ، فقال : ما كنت بالناسي لعهدك ، فقلت : يا سيدي احملني في هذه ما كان العهد الذي بينك وبينه ؟ قال : عهد إلي أن أزوره في كل يوم ، فقلت بالذي خصلك بمعرفته وشرفك بمحبته زودني بشيء أنفع به في الدنيا والآخرة ، فقال : اسلك سبيل الهدى ، وجانب أهل الغي والردى ، واقنع برزق اليوم ولا تهتم برزق غداً ، وعامل مولاك بالرضا ، والصبر على البلاء والقضا ثم تركني ومضى . قال سعدون : فهذا كان سبب تولي عليه وشوقي إليه :

|                        |                         |                        |
|------------------------|-------------------------|------------------------|
| من عرف الله هام وجداً  | وجاء في حبه مجداً       | تملك الحب منه قلباً    |
| صيره للإله عبداً       | فدمعه في حبه ليس يرقى   | وقلبه منه ليس يهدا     |
| يحسبه الجاهلون فيما    | يرونه جاهداً مكداً      | جانب كل الورى جميعاً   |
| وعاش في العالمين فرداً | قد ألف الوحوش لا تراه   | يلهو بعيش ولا بسعدى    |
| لكنه للحييب عبد        | مشمراً جاء مستعداً      | إن كنت تبغي بهم حقوقاً |
| فابذل لمولاك منه جهداً | ولا تكن طامعاً بفوز     | ولم ير الله منك كداً   |
| ولذ بجاه الذي ترقى     | إلى السماء ثم زاد مجداً | محمد المصطفى رسول      |
| إلى جميع الأنعام فرداً | صلى عليه الإله حقاً     | ما قصد القاصدون نجداً  |

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

[ فصل ] : الحمد لله الذي قرب بعيداً وأبعد قريباً ، وأقصى عدواً وأدنى حبيباً ، وأذل عاصياً وأعز طائعاً منياً ، الذي ما دعاه داع إلا وكان بالتلبية مجيباً ، ولا سأله سائل إلا وأعطاه

سؤله ووفر له من فضله نصيباً ، فيا أيها العاصي تذكر وكن نفسك رقيقاً ، واعمل ليوم  
عرضك ومآلك ما دام غصن شبابك غضاً رطيباً ، فإلى متى أنت سقيم بداء زلتك ولا تجد  
لعلتك شافياً ولا طبيباً ، انهض في ظلم الدياجي وناج من لم يزل سمياً قريباً ، وتضرع بين  
يدي مولاك وكن في دنياك غريباً والتجىء إلى ظل رحمته مساءً وصباحاً وقف على بابه تجده باباً  
مباحاً وجنباً رحيماً ، وناد في الأسحار بلسان الاعتذار وقل مقالة من أصبح على ذنوبه حزناً  
كثيراً :

|                            |                             |                            |
|----------------------------|-----------------------------|----------------------------|
| أنا العبد الذي كسب الذنوبا | وصدته المعاصي أن يتوبا      | أنا العبد الذي أضحى حزينا  |
| على زلاته دفناً كثيراً     | أنا العبد الذي سطرت عليه    | صحائف لم يخف فيها الرقيا   |
| أنا العبد المسيء عصيت ربي  | فما لي الآن لا أبدي النحيا  | أنا العبد المفرط ضاع عمري  |
| ولم أرفع الشيبية والمشيا   | أنا العبد السقيم من الخطايا | وقد أقبلت ألتمس الطيبا     |
| أنا العبد المخلف عن أناس   | حووا من كل معروف نصيا       | أنا العبد الشريد ظلمت نفسي |
| وقد وافيت بآبكم منيا       | أنا العبد الفقير مددت كفي   | إليك فادفعوا عني الخطوبا   |

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| أنا الغدار كم عاهدت عهداً   | وكننت على الوفاء به كذوباً |
| أنا المهجور هل لي من شفيع   | يكلم في الوصال لي الحبيباً |
| أنا المقطوع فارحمني وصلني   | ويسر منك لي فرجاً قريباً   |
| أنا المضطر أرجو منك عفواً   | ومن يرجو رضاك فلن يخيباً   |
| فوا أسفاً على عمر تقضى      | ولم أكسب به إلا ذنوباً     |
| وأحذر أن يعاجلني ممات       | يحير هول مصرعه اللبياً     |
| وواحزنه من حشري ونشري       | ليوم يجعل الولدان شيباً    |
| فيا مولاي جد بالعفو وارحم   | عبيداً ولم أكسب به الذنوبا |
| وسامح هفوتي وأجب دعائي      | فإنك لم تزل أبداً مجيباً   |
| وشفع في خير الحق طراً       | نيماً لم يزل أبداً حيياً   |
| هو الهادي المشفع في البرايا | وكان له رحيماً مستجيباً    |
| عليه من المهيمن كل وقت      | صلاة تملأ الأكوان طيباً    |

[إخواني] ما أحسن حال من التجأ إلى رب العالمين ، إخواني ما أطيب حال من انتمى إلى  
عباده الصالحين ، إخواني ما أحسن حديث المحبين ، إخواني ما أطيب أخبار المتقين ، إخواني  
ما أربح بضائع العاملين ، إخواني ما أصبح وجوه المجتهدين ، إخواني ما أعطر أنفاس  
الذاكرين ، إخواني ما ألد عتاب المشتاقين ، إخواني ما أنفع بكاء المحزونين ، إخواني ما أعذب

مناجاة القائمين ، إخواني ما أمر عيش المحجوبين ، إخواني ما أذل نفوس الخاطئين ، إخواني ما أسوأ حال المحرومين ، إخواني ما أعظم حسرة الغافلين ، إخواني ما أشنع عيش المطرودين ، إخواني ما أعمى قلوب الظالمين ، إخواني ما أقبح وجوه العصاة والمذنبين . كان في زمان بني إسرائيل رجل مذنّب كلما زاد في ذنوبه وعصيانه أمدّه الله بوافر رزقه وإحسانه ، فلما سمع كلام موسى عليه السلام وتوبيخه لأهل الذنوب والآثام ، قال : يا موسى ما أرى ربي إلا كلما زدت في معصيته زادني من فضله ونعمته فتعجب موسى من كلامه الذي أبداه ثم صعد إلى المناجاة ، فقال : إلهي أنت أعلم بما قال عبدك العاصي كلما زاد في العصيان زدت أصناف البر والإحسان ، فقال : يا موسى أنا أعذبه ولا يدري ، فقال : يا رب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهلته ؟ فقال : يا موسى عذبتّه ببعده عني وترك نصيبه مني ، أغفلته عن طاعتي ، أغتمته عن لذة مناجاتي ، ولأحرمته في السحر لذة عتاي ، وطيب مناداتي وخطابي ، فوعزتي وجلالي لأذيقته وبيل عذابي ، ولأحرمته جزيل ثوابي ، يا هذا إذا رأيت البارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الإمهال فلا تستعجل لهم إنما غلّي لهم لقد فرحوا بما يوجب الغم من اللذات ﴿ اَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿ شَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ : [ المؤمنين : ٥٥ - ٥٦ ] . بينا أرض إعراضهم قد أخذت زخرفها وازينت ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ ﴾ : [ يونس : ٢٤ ] . يا معشر الغافلين في لذاتهم ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ : [ النبا : ٤٠ ] واخجلتهم يوم ينبئهم الله بما عملوا ، والله بكل شيء عليم :

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| يا حسرة القلب من أطفاف معناه  | واخجلة العبد من إحسان سيده      |
| عندي وأعصيه جهراً ثم أنساه    | وكم له من أياد غير واحدة        |
| واخجلتي واحيائي حين ألقاه     | وكم أسأت وبالإحسان قابلي        |
| ممن سواه وما في الكون إلا هو  | وكم عكفت على العصيان مستترا     |
| لا كان في الناس عبد ليس يرعاه | يرعى الذمام ويولي الفضل مبتدراً |
| وقد رأي على ما ليس يرعاه      | يا نفس كم يخفي اللطف عاملي      |
| وما أقال عشاري إلا إياه       | يا نفس كم زلت بها قدمي          |
| عسى تنالي مناكي عند لقياه     | يا نفس توي إلى مولاك واجتهدي    |

[ إخواني ] تفكروا في عواقب الذنوب ، كيف تغني اللذات وتبقى العيوب ، بالله عليكم احذروا طلب المعاصي فبئس المطلوب ، ما أقبح آثارها في الوجوه والقلوب ، فلله درّ من أحسن سريره وأخلى من الذنوب صحيفته ، وأخلص لله سره وعلايته . روى أن عيسى ابن

مريم عليها السلام خرج ليستسقي بالناس فأوحى الله تعالى إليه لا تستسق ومعك خطاؤون فأخبرهم عيسى بذلك ونادى فيهم : ألا من كان معنا من أهل الذنوب والخطايا فليعتزل ، قال : فاعتزل الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى ، فقال له عيسى عليه السلام : لم لا تعتزل مع الناس ؟ فقال : يا روح الله إني لم أعص الله طرفة عين ، ولقد التفت فنظرت بعيني هذه إلى قدم امرأة من غير قصد فقلعتها ولو كنت نظرت بالعين الأخرى لقلعتها . قال : فبكى عيسى عليه السلام حتى ابتلت لحيته من دموعه ، ثم قال : فادع الله لنا قال : معاذ الله أن أدعو وأنت روح الله وكلمته فرفع عيسى عليه السلام يديه ، وقال : اللهم إنك خلقتنا وتكفلت بأرزاقنا فأرسل السماء علينا مدراراً فما استتم عيسى عليه السلام دعاءه حتى نزل الغيث وعمّ العباد والبلاد :

|                                  |                              |
|----------------------------------|------------------------------|
| يا من عليه مدى الأيام معتمدي     | إليك وجهت وجهي لا إلى أحد    |
| أنت المجيب لمن يدعوك يا أُملي    | يا عدتي يا شفا دائي ويا سندي |
| يا مالك الملك يا معطي الجزيل لمن | يرجو نداءه بلا حصر ولا عدد   |
| مالي سواك ومالي غير بابك يا      | مولاي فامح بعفو ما جتته يدي  |
| أنعم وأمطر علينا رحمة فلنا       | عوائد منك بالإحسان والمدد    |
| وانظر إلينا فكم أوليتنا نعماً    | ما إن تمرّ على بال ولا خلد   |
| يا من أجاب دعائي عند مسألتي      | ومن عليه وإن أخطأت معتمدي    |
| ثم الصلاة على المختار من مضر     | مانحت الورق في غصن مدى الأبد |

[ إخواني ] لقد وعظتنا الدهور ، بمرّ الأيام والشهور ، ورأينا الحزن عقب السرور ، وعلمنا أن الزمان بأهله عثور ، وتيقنا أن آخر الأمر إلى القبور ، فالعامل بالتقى مشكور ؛ كم كسفت الدنيا من بدور ، وكم أخلت من أهلها من دور وقصور ، أعمى في الأبصار أم في عور ؟ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ : [ الحج : ٤٦ ] .

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| تصرمت الحياة بغير نفع    | فما صنعي وقد وافى نذيري |
| وأعمالي وطاعاتي وبري     | غرور في غرور في غرور    |
| وصبري والأمانة وارتجاعتي | عسير في عسير في عسير    |
| وجرمي والإساءة والتعدي   | كبير في كبير في كبير    |
| وسعبي واجتهادي واعتذاري  | صغير في صغير في صغير    |
| ورحمته وعفو واغتفار      | كثير في كثير في كثير    |

قليل : كان في البصرة شاب يقال له رضوان ، كثير اللهو والعصيان ، والته والطغيان ،

بيت الليالي بالخمير سكران ، قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان ، فبينما هو في بعض الأيام معتكف على شرب المدام ، ومعه جماعة من أصحابه الموافقين له على الذنوب والآثام ، إذ سمع رجلاً فقيراً ينشد في الطريق :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل لمحبة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فبكى الشاب وقال : بالله عليك يا فقير إلا ما أعدت إليّ قولك فأعاده فأقسم عليه الشاب أن يحضر مجلسهم فحضر فقال له : والله يا سيدي لقد سعدنا برؤياك وأعجبنا صوتك وحسن غناك ، فغنّ لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال :

تعصي الإله وأنت تأكل رزقه ويراك إذ من خلقه تتكتم  
فاحذر فما حاولت أمراً منكراً إلا وينظره لسيديك ويعلم

فبكى الشاب وخرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق من غشيته كسر أواني الخمر وأقبل على الفقير وقال : يا سيدي هل من توبة ؟ فأنشد :

هذا زمان الصلح ما أقعدك عن باب من للخير قد عودك  
فإن محوت اليوم ما سطرت أيدي خطاياك فما أسعدك

فصرخ الشاب ورمى نفسه إلى الأرض مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : سيدي هل يؤاخذني بما مضى ؟ فأنشد وقال :

الله ما أطيب صفو الوداد وما ألدّ القرب بعد البعاد وما أشدّ الهجر من بعدما  
قد كنت من جملة أهل الوداد يا ناسياً للعهد عاملتنا ثم تعللت بطيب الرقاد

بمن تشاغل وأين الذي حصلت كلا بل حرمت المراد  
شمر من اليوم ودع ما مضى وكن فقيراً ما مضى لا يعاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه ثم تابوا وخلعوا ما عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى ربه وندم على قبيح ذنبه وبات ليلته بحضرة الفقير في بكاء ونحيب وحسرات وزفرات ، فلما كان وقت السحر ذكر ذنوبه والسيئات فصرخ وأسبل العبرات ، ثم غشي عليه فحركه الفقير فإذا به قد مات :

أجلّ ذنوبي عند عفوك سيدي حقير وإن كانت ذنوبي عظاما  
فما زلت غفاراً وما زلت راحماً وما زلت ستاراً عليّ الجرائم  
لئن كنت قد تابعت جهلي في الهوى وقضيت أوطار البطالة هائما  
فها أنا قد أقررت يا رب بالذي جنيت وقد أصبحت حيران نادما

فتب واعف عني يا إلهي تكرمًا      وكن لي يا ربّ البرية راحما  
 [إخواني] إلى كم تضيعون السنن والفرائض ، إلى متى تتيممون بالتراب والماء فائض ، يا  
 كسلان في الطاعة وهو في المعصية ناهض ، تالله من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ :  
 لا ينفع الوعظ قلباً قاسياً أبداً      ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر  
 ولا أرى أثراً للذكر في جسدي      والحبل في الحجر القاسي له أثر  
 [ روى أبو سفيان الثوري رحمه الله ] كان يعظ الناس يشوقهم إلى الله تعالى ويرغبهم في أثوابه  
 ويحذرهم من عقابه ، وكان الناس يختلفون إليه فصعد يوماً منبره على عادته ، فلما استقرّ به  
 الجلوس وأراد أن يتكلم رفعت إليه امرأة رقعة ، فلما قرأها تغير لونه وبكى بكاءً شديداً ثم  
 نزل ولم يتكلم . فسأله أصحابه ومن يعزّ عليه أن يخبرهم بما في الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها  
 مكتوب :

|                                 |                          |
|---------------------------------|--------------------------|
| يا أيها الرجل المعلم غيره       | هلا لنفسك كان ذا التعليم |
| تصف اللواء لذى السقام وذى الضنى | كيما تصح به وأنت سقيم    |
| ونراك تصلح بالرشاد عقولنا       | أبدأ وأنت من الرشاد عديم |
| فأبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها     | فإذا انتهت عنه فأنت حكيم |
| فهناك يقبل ما تقول ويقتدي       | بالوعظ منك وينفع التعليم |
| لا تنه عن خلق وتأتي مثله        | عار عليك إذا فعلت عظيم   |

فلما قرأ ذلك بكى بكاءً شديداً حتى أغمي عليه ، فلما أفاق قالوا له : يا سيدي أنت  
 كلامك موزون وعرضك مصون ، تشفي القلوب بوعظك وتسلي المحزون ، فكيف يؤثر في  
 قلبك هذا الكلام وأنت إمام وأيّ إمام ؟ فبكى وقال : أنا ما أصلح أن أتكلم على رؤوس  
 الناس فأنا أعرف بنفسى من غيري ثم فاضت عيناه ، واشتغل بوجده وجواه ، وما عاد أحد  
 بعد ذلك اليوم يسمع كلامه ولا يراه ، حتى مات رحمه الله . إخواني أفلا تنظرون إلى قلوب  
 هؤلاء الأقوام ؟ كانت قلوبهم كالزجاجة رقيقة يؤثر فيها الكلام ، ويقدح زناد الموعظة في  
 إحراق قلوبهم نار الوجد والغرام ، وأنتم تسمعون المواعظ فلا تؤثر في قلوبكم ولا تغسلون  
 بماء الدمع درن ذنوبكم بل تتركون ما ينفعكم وراء ظهوركم وتقبلون على اللهو والأباطيل كما  
 قيل :

|                               |                                  |
|-------------------------------|----------------------------------|
| قلوب بذكر الوعظ تزداد قسوة    | فلا الوعظ يجدي لا ولا العتب ينفع |
| ألين مقالاً في الكلام لعلها   | تلين فلا تصغي ولا تتخشع          |
| إذا قلت هذا مدرج القوم فادرجي | يقول الهوى حدث من ليس يسمع       |

وإن عرضت يوماً إلى الناس شهوة تراها إلى ما يغضب الربّ تسرع  
وأن ليس للإنسان إلا الذي سعى وكل مجازى بالذي كان يصنع

[إخواني] استحوذت عليكم الغفلة وغرّكم أيام المهلة ، فيا مغترّاً في ظلمه بامهاله ﴿ وَلَا

تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَذِيبًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ : [إبراهيم : ٤٢] ليست المهلة على الإطلاق  
﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ : [إبراهيم : ٤٢] إذا انتهى أمدّها طلبوا زيادة  
﴿ أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ : [إبراهيم : ٤٤] فيقابلون بتوبيخ ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ ﴾ : [فاطر : ٣٧]  
فلو رأيتهم يوم العرض ، وقد خرجوا من قبورهم حيارى وبرزوا لله الواحد القهار ترجف  
بوادرههم يوم ترجف الراجفة ، عليه أمارات الشقاء ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ ﴾ : [الرحمن : ٤١]  
إذا اشتد جوعهم ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ : [الغاشية : ٦] إذا قوي عطشهم  
﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ : [محمد : ١٥] العرى خير من كسوتهم سرايلهم من قطران  
إذا استغاثوا ﴿ يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ : [الكهف : ٢٩] أتراهم لم يسمعوا ﴿ إِنَّ يَوْمَ  
الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : [الدخان : ٤٠] إذا شاهدت النار من اشترى لذة ساعة بعذاب  
سنين ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ : [الملك : ٨] من أراد النجاة فليتب ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ :  
[المجادلة : ٤] .

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| ما حال من غلقت أبواب رحمته  | وخلدت نفسه في سجن غفلته  |
| أعمته شهوته عن كل صالحة     | كأنما ختمت أجفان مقلته   |
| فدعه إن لم يفق من قبل صرعه  | فسوف يعثر في أذيال جفوته |
| يا من ينادي ولا يصغي لصالحة | كأنما قلبه في غير جثته   |
| إن كان جسمك لا يقوى على ألم | فالنار أعظم من آلام علته |

[إخواني] إذا كان صفاء المواعظ لا تؤثر في قلوبكم الكدرة ، ومعاول التخويف لا تقطع في  
نفسكم المتحيرة ، فهذا كلام ربكم يتلى عليكم في آياته المطهرة ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا  
يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ : [الزلزلة : ٧-٨] يا غافلاً عما نهاه وأمره ،  
يا مضيعاً في البطالة عمره ، إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة مسطرة ، كيف حالك في سفرك  
وطريقك خطرة ، وشاهدت ميزانك الذي يرجع بالذرة الحقرة ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا  
يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ : [الزلزلة : ٧-٨] يا غافلاً والموت يقفو أثره ، كيف بك إذا  
شاهدت السماء منفطرة ، وحافظك قد أحصى ما عملت من خير وشر وحصره ، وقد تركبت  
عليك الحجة وتعذرت المذرة ، فهناك يجد الإنسان من الإحسان أو العصيان ما أحضره

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾ :

يا نفس توبي عن فعال منكركه  
يا نفس فاز القوم من رب العلا  
يا نفس قد قطعوا النهار لربهم  
يا نفس ويحك للمتأب فبادري  
يا نفس إن القوم زادوا خيفة  
يا نفس جدِّي في التقى وتزوَّدي  
يا نفس كم قوم على الدنيا احتوا  
يا نفس كم أمم تفتنوا في البلا  
يا نفس توبي اليوم من قبل الردى  
يا نفس آه من الذنوب وكلها  
يا نفس ما ينجيك في اليوم اللقا  
إلا شفاعة أحمد الهادي الذي  
فهو النبي الهاشمي المصطفى  
يا نفس جدِّي في المسير لقبره  
وتمتعني بجماله ووصاله  
وإذا وصلت إلى رباه فعظمي  
فعسى تنالي الفوز من رب العلا  
وتشاهدي ذاك الضريح وقد بدت  
هو صفوة الرحمن من كل الورى  
أسرى به الباري إليه جهرة  
ورقى على ظهر البراق معظماً  
فاستبشرت بقدمه أهل السما  
وهو الذي جلست عروس جماله  
وهو الذي بالحق جاء وبألهدى  
صلى عليه الله ما سرت الصبا

واسعي إلى دار البقا مستبصره  
بالعفو عن زلاتهم والمغفره  
صوماً وفازوا بالعلا في الآخرة  
من قبل أن تأتي الذنوب مسطره  
من مكركه وقلوبهم متنكره  
عملاً وكوني للقا مستشعره  
ظلماً وما لهمو إذا من آخره  
وعظامهم أضحت عظاماً ناخره  
فعسى تكوني من غد مستبشره  
يوم القيامة في الكتاب محرره  
من عظم أهوال الحساب المنكره  
يرجى لديه الفعو عند المقدره  
والمجتبى من خلقه إذ طهره  
واسعي إلى أبوابه مستصغره  
كي لا تكوني في الورى متحسره  
تلك المواقف وادخلي متوقره  
وتعود زلات الذنوب مكفره  
أنواره للكائنات منوره  
وبأحسن التكوين حقاً صوره  
في جنح ليل صبحه ما أسفره  
والكون من أنواره قد نوره  
فلذاك أضحت من شذاه معطره  
في ليلة المعراج لما أظهره  
وأباحنا الدين القويم ويسره  
وأنت بطيب ثنائيه متعطره

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الجلس الثاني والأربعون

## في فضائل يوم عاشوراء

الحمد لله الذي عزت عزته أولاً وآخراً ، وكفلت نعمته مؤمناً وكفوراً ، وأظهرت قدرته ضياءً وديجوراً ، ووسعت رحمته من ضيع زمانه تقصيراً . كم أفقر غنياً وأغنى فقيراً ، ورحم مسكيناً وجبر كسيراً ، وغفر ذنباً وعمر قلباً وشرح صدوراً ، وأباح جنبه وفتح بابه لمن كان مهجوراً ، يخافه الملك فيكثر تهليلاً وتكبيراً ، ويجري بأمره الفلك فيسيره تسييراً ، كتب كتاب رحمته وسطره تسطيراً ، وأشهد على نفسه ملائكته أنه لم يزل غفوراً ، معظماً مقدساً مذكوراً معبوداً محموداً مشكوراً ، يبصر ما تحت التحت ، وكان الله سميعاً بصيراً ، ويعلم ما يختلج في الفكر وكان الله عليماً خبيراً ، ويفنى الكل ويبقى ؛ وكان الله على ذلك قديراً يخرج الحي من الميت وخلق كل شيء فقدره تقديرأ ، أعطاك مع علمه بذنبك ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ : [ الإسراء : ٢٠ ] ليس عليه حجاب فيكون مستوراً ، ولا هو جسم فيكون محصوراً . اختار قوماً قواماً فكسا وجوههم نوراً ، وملا قلوبهم بمحبته وسروراً ، شرفهم إذ عرفهم طريق معرفته وجعل حظهم حظاً موفوراً ، رفعوا إليه قصة الشكوى من الهجران فكتب لهم بالأمان منشوراً ، أيقظهم من بين النائمين وجعل بينهم وبين الغافلين حجاباً مستوراً ، نصبوا في خدمته الأقدام وستروا وجوههم بأستار الظلام فجعلها بين الأنام شموساً وبدوراً ، فقههم لخطابه ولذدهم بعتابه وسقامهم بكأس اقترابه شراباً طهوراً ، وأدناهم من الجناب وفتح لهم الباب ورفع لهم حجاباً مستوراً ، فسبحانه من إلّه صرف أعواماً ودهوراً ، وشرف أياماً وشهوراً ، وفضل مواسم الطاعات على جميع الأوقات ، وخص بالفضل والبركات يوم عاشوراء ، وخاطب فيه نبيه موسى وسقاه من شرابه كؤوساً ، وجعل له عند سماع مناجاته طوراً ، وقربه واجتبه وخاطبه فيه وناجاه ، وأعطاه فضلاً غزيراً ، وافترض صيامه على بني إسرائيل وأعد لمن صامه من الفضل الجزيل أجوراً ، وفيه تاب الله على آدم ولقاه نضرة وسروراً ، وأخرج نوحاً من السفينة ، وجعل له من السكينة حظاً موفوراً ، وقد نجى الخليل من نار النمرود ووقاه لهيباً وسعيراً ، وفيه أخرج يوسف من السجن إذ كان صبوراً ، وفيه ردّ بصير يعقوب وكشف ضرّ أيوب وغفر لداود فأصبح ذنب مغفوراً ، ولسان الإحسان يشرهم في القرآن بقول الملك الديان : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ : [ الإنسان : ٢٢ ] .

لا نلت مما أرتجيته سرورا  
والمرء ليس بصادق في حبه  
أشغلتنى بهواك عن كل الورى  
لله قوم أخلصوا في حبه  
تركوا النعيم وطلقوا دنياهمو  
قاموا يناجون الحبيب بأدمع  
سترو وجوههم بأستار الدجى  
عملوا بما علموا وجادوا بالذي  
وإذ بدا ليل سمعت حنينهم  
تعبوا قليلاً في رضا محبوبهم  
صبروا على بلواهمو فجزاهمو  
يا أيها الصبّ الكئيب إلى متى  
بادر فهذا يوم عاشروا الذي  
فاضرع إلى مولاك فيه وناده  
إن لم أكن أهلاً لعفوك سيدي  
مالي سواك وأنت غاية مقصدي

إن كان قلبي عن هواك نفورا  
إن لم يكن في النائبات صبوراً  
فلذاك راح القلب فيك أسيراً  
فكسا وجوههم الوسيمة نورا  
زهداً فعوضهم بذاك أجوراً  
تجري فتحكي لؤلؤاً منشوراً  
ليلاً فأضحت في النهار بدوراً  
وجدوا فأصبح حظهم موفوراً  
وشهدت جداً منهمو وزفيراً  
فأراحهم يوم اللقاء كثيراً  
يوم القيامة جنة وحريراً  
تفني زمانك باطلاً وغروراً  
من صامه الله نال أجوراً  
يا واحداً في ملكه وقديراً  
كن أنت أهلاً ساتراً وغفوراً  
وإذا رضيت فنعمته وسروراً

[ وروي أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه ] : أن رسول الله ﷺ قال : « صوم يوم عاشوراء يكفر العام الذي قبله » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على عيالكم فيه فإنه من وسع فيه على عياله وأهله من ماله وسع الله عليه سائر سنته » فصوموه فإنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم فأصبح صفيّاً ، ورفع فيه إدريس مكاناً عليّاً ، وأخرج نوح من السفينة ، ونجى إبراهيم من النار ، وأنزل الله فيه التوراة على موسى ، وأخرج فيه يوسف من السجن ، وردّ على يعقوب بصره ، وفيه كشف الضرّ عن أيوب وفيه أخرج يونس من بطن الحوت ، وفيه فلق البحر لبني إسرائيل وفيه غفر لداود ذنبه وفيه أعطى الله الملك لسليمان ، وفي هذا اليوم غفر لمحمد ﷺ ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وهو أول يوم خلق الله فيه الدنيا وأول يوم ينزل فيه المطر من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة أنزلت إلى الأرض يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الأنبياء ومن أحيّا ليلة عاشوراء بالعبادة فكأنما عبد الله تعالى مثل عبادة أهل السموات السبع ومن صلّى فيه

أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاماً ، ومن سقى يوم عاشوراء شربة ماء سقاه الله يوم العطش الأكبر كأساً لم يظماً بعدها أبداً وكأنما لم يعص الله طرفة عين ومن تصدق فيه بصدقة فكأنما لم يرد سائلاً قط ومن اغتسل وتطهر يوم عاشوراء لم يمرض في سنته إلا مرض الموت ومن مسح فيه على رأس يتيم أو أحسن إليه فكأنما أحسن إلى أيتام ولد آدم كلهم ، ومن عاد مريضاً في يوم عاشوراء فكأنما عاد مرضى أولاد آدم كلهم وهو اليوم الذي خلق فيه العرش واللوح والقلم ، وهو اليوم الذي خلق الله فيه جبريل ورفع فيه عيسى وهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله عز وجل : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ : [ طه : ٥٩ ] قال : يوم عاشوراء فطوى لمن قدم في هذا اليوم الشريف عملاً صالحاً ، وأتجر فيه بالخيرات للآخرة متجراً راجحاً ، وتاب من ذنوبه وخطاياهم وأقبل إلى مولاه صالحاً واتعظ بغيره وقبل ممن أصبح له ناصحاً ، وترك الكبر والدعوى ، وسلك إلى التقوى طريقاً واضحاً :

|                           |                          |                           |
|---------------------------|--------------------------|---------------------------|
| يا غادياً في غفلة ورائحاً | إلى متى تستحسن القبائح   | وكم أخى كم لا تخاف موقعا  |
| يستنطق الله به الجوارح    | واعجباً منك وأنت مبصر    | كيف تحبب الطريق الواضحا   |
| كيف تكون حين تقرا في غد   | صحيفة قد حوت الفضائح     | وكيف ترضى أن تكون خلسرا   |
| يوم يفوز من يكون راجحاً   | فاعمل لميزانك خيراً فعسى | يكون في يوم الحساب راجحاً |

وصم فهذا يوم عاشروا الذي ما زال بالتقوى شذاه فائحا  
يوم شريف خصنا الله به يا فوز من قدم فيه صالحا

[ وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال ] : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انفرد به مسلم . وسئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء ؟ فقال : ما علمت أن لرسول الله ﷺ يوماً يطلب فضله في الأيام إلا هذا اليوم يعني يوم عاشوراء ، ولا شهراً إلا هذا الشهر ، يعني رمضان متفق عليه . وروى بن أنس رضي الله عنه عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان عام حج وهو على المنبر يقول : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا يوم عاشوراء لم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر » متفق عليه . وروى ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » فتوفي رسول الله ﷺ قبل ذلك فيحتمل أن يكون أراد نقل الصيام إليه ويحتمل أن يكون أراد أن يصومه مع العاشر ، ولهذا استحب الإمام الشافعي وغيره صيام اليومين احتياطاً وهو مروي عن ابن عباس أنه قال : « صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود » وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :

« من صام أيام العشر إلى يوم عاشوراء ورث الفردوس الأعلى » وإلى هذا العشر أشار الله تعالى بقوله : ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ تِلْكَ لَيْلَةِ وَاتَّمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ۖ ﴾ : [ الأعراف : ١٤٢ ] . ولعشر المحرم فضائل كثيرة ، وأثار غزيرة . فمن ذلك ما روى معاوية بن قرة أن نوحاً عليه السلام صام ومن معه في السفينة يوم عاشوراء شكراً لله تعالى إذ نجاهم يوم استوت على الجودي وكان يوم عاشوراء . وعن طاوس في قوله تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام في قوله : ﴿ سَوْفَ

أَسْتَفْرِلكُمْ رَبِّي ۖ ﴾ : [ يوسف : ٩٨ ] قال أخرهم إلى ليلة الجمعة فوافقت ليلة عاشوراء . قال ابن شهاب : وما بلغنا عن الصحابة والتابعين أنه كان يصوم يوم عاشوراء علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أجمعين ، وقد ذكرنا مما يستحب من الأعمال في يوم عاشوراء ما ذكرناه فيما تقدم ، ومنها ما لم نذكره فمنه أنه يستحب أن يستعمل فيه الاغتسال ، وقد ذكر أن الله تعالى يخرق في تلك الليلة زمزم إلى سائر المياه فمن اغتسل يومئذ أمن من المرض في جميع السنة ومن ذلك الصدقة ، ومن ذلك مسح رأس اليتيم ، ومن ذلك تفتير الصائم ، ومن ذلك إسقاء الماء ومن ذلك زيارة أخ في الله ، ومن ذلك عيادة المرضى ، ومن ذلك الصوم ، ومن ذلك التوسعة على العيال ، ومن ذلك إكرام الوالدين والبر بهما ، ومن ذلك تشييع الجنائز ، ومن ذلك إمطة الأذى عن الطريق ، ومن ذلك كظم الغيظ ، ومن ذلك العفو عن ظلم ، ومن ذلك التنفل وكثرة الذكر ومن ذلك ما روي علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : « من قرأ في يوم عاشوراء ألف مرة قل هو الله أحد نظر الرحمن إليه ، ومن نظر الرحمن إليه لا يعذبه أبداً » .

[ وعن ابن مسعود عليه السلام ] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أنزل الله تعالى على موسى بن عمران في التوراة : من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله » وعن سلمة بن الأكوع عليه السلام قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً أن ينادي في الناس ألا من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يأكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء » . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء قال لهم : ما هذا ؟ فقالوا : هذا يوم صالح نجي الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكراً لله ، فنحن نصومه لأجله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » . وأما الصدقة به فإنها مضاعفة والبر والإيثار والإحسان إلى ذوي القربى وصلة الرحم والرحمة والرأفة للفقراء والمساكين . كما روي أن فقيراً كان له عيال في يوم عاشوراء فأصبح هو وعياله صياماً ولم يكن عنده شيء فخرج يطوف على شيء يفترون عليه فلم يجد شيئاً فدخل السوق الصرغ فرأى رجلاً قد فرش في

دكانه النطوع المثمنة وسكب عليها أكوام الذهب والفضة فتقدم إليه وسلم عليه ، وقال له : يا سيدي أنا فقير لعل أن تقرضني درهماً واحداً أشتري به فطوراً لعيالي وأدعو لك في هذا اليوم فولى بوجهه عنه ولم يعطه شيئاً فرجع الفقير وهو مكسور القلب وولى ودمعه يجري على خده فرآه جار له صيرفي وكان يهودياً فنزل خلف الفقير وقال له : أراك تكلمت مع جاري فلان ؟ فقال : قصدته في درهم واحد لأفطر به عيالي فردني خائباً وقلت له : أدعو لك في هذا اليوم ، فقال اليهودي : وما هذا اليوم ؟ فقال له الفقير : هذا يوم عاشوراء وذكر له بعض فضائله فناوله اليهودي عشرة دراهم وقال له : خذ هذه وأنفقها على عيالك إكراماً لهذا اليوم فمضى الفقير وقد انشرح لذلك ووسع على أهله النفقة ، فلما كان الليل رأى الصيرفي في المنام كأن القيامة قد قامت وقد اشتد العطش والكرب فنظر فإذا قصر من لؤلؤة بيضاء أبوابه من الياقوت الأحمر فرفع رأسه ، وقال : يا أهل هذا القصر اسقوني شربة ماء فنودي هذا القصر كان قصرك بالأمس ، فلما رددت ذلك الفقير مكسور القلب محي اسمك من عليه وكتب باسم جارك اليهودي الذي جيره وأعطاه عشرة دراهم فأصبح الصيرفي مذعوراً ينادي على نفسه بالويل والثبور فجاء إلى جاره اليهودي وقال : أنت جاري ولي عليك حق ولي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تبيني ثواب العشرة دراهم التي دفعتها بالأمس للفقير بمائة درهم . فقال : والله ولا بمائة ألف دينار ولو طلبت أن تدخل من باب القصر الذي رأيته البارحة لمامكنك من الدخول فيه . فقال : ومن كشف لك عن هذا السر المصون . قال : الذي يقول للشيء كن فيكون ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

[إخواني] كان هذت يهودياً فأحسن الظن بيوم عاشوراء وما كان يعرف فضله فأعطاه الله

ما أعطاه ومنّ عليه بالسلام فكيف بمن يعرف فضله وثوابه ويهمل العمل فيه :

ما حل من ظل على باب الرضا مطرود وعن موارد ساعات اللقا مردود

وقد حكم في القدم أن ينجز الموعد هذا بحكم القضاء يشقى وذا مسعود

فيا من ضيع أوقات المكنة والاقتدار ، ونسي الآخرة وأنس بهذه الدار ، وجانب الصالحين وصاحب الفجار ؛ وأثر على صفا الإخلاص كدر الأسرار ، وصار عبداً للهوى وقد كان من الأحرار ، ولم يذكر في حلاوة الشهوات مرارة الأوزار :

يا غافلاً في نومه وسناته متشاغلاً باللهو في غفلاته لا يستفيق من الذنوب وكلما

وعظوه جاز الحد في زلاته قد ضل عن طريق الهداية والتقى والشيب وافي منذراً بوفاته

فلو استقال إلى الكريم فرمى يعفو بفضل منه عن هفواته

[وقيل] : كان بالبصرة رجل له مال وثروة وكان في سنة يجمع الناس في بيته ليلة عاشوراء

يقرؤوا القرآن ويذكرون ويهللون ويسبحون ويحيون تلك الليلة بالقراءة والذكر ويمدّ لهم الطعام ويفتقد المساكين ويحسن إلى الأراامل والأيتام . وكان له جار وله بنت مقعدة ، فقالت لأبيها : يا أبت ما بال جارنا يجمع الناس في كل سنة في هذه الليلة ويحيونها بالقراءة والذكر ؟ فقال لها : هذه ليلة عاشوراء ولها حرمة عند الله وفضائل كثيرة ، ثم ناموا وسهرت الصبية تسمع القرآن والذكر إلى وقت السحر ، فلما ختموا القرآن دعوا رفعت رأسها إلى السماء وقالت : سيدي ومولاي بجرمة هذه الليلة عندك وبهؤلاء الأقوام الذين باتوا يتلون ذكرك ساهرين في طاعتك إلا ما عافيتني ومسحت قلبي بعد كسري فما استتمت الكلام إلا وقد زالت عنها الأوجاع والأسقام ونهضت قائمة على الأقدام . فلما نظر أبوها إلى قيامها بعد ضرها وسقامها . قال : يا بنية من كشف عنك هذه الغمة والبلية ؟ قالت : الذي جاد لي بالرحمة ولا ييخل بالنعمة ، يا أبت إني توسلت بهذه الليلة إلى سيدي فأزال ضرري وعافى جسدي :

|                           |                           |                          |
|---------------------------|---------------------------|--------------------------|
| فلا تجزع لربب الدهر واصبر | فإن الصبر في العقبى سليم  | فما جزع بمغن عنك شيئاً   |
| ولا ما فات ترجعه الهموم   | إذا ضاق الخناق فكن صبوراً | كريمياً فالشدائد لا تدوم |
| فبالصبر الجميل تنال أجراً | وتعطى بعد ذلك ما تروم     | فكم من محنة عظمت ودامت   |
| وخان مواصل وجفاهيم        | أتى فرج الإله لها صباحاً  | فما أمست وأقلعت الهموم   |

فسلم الذي أبلى يعافي وثق بالله فهو بنا عظيم

[ إخواني ] اغتنموا زمان الأرياح فأيام المواسم معدودة ، وانتهزوا الفرص فأوقات السلامة مشهودة ، وبادروا للعمل مبادرة مجتهد محق وارفضوا فضول الدنيا وتخلصوا من الرق قبل أن تلقوا ساعة حسرة تلقوا بعدها ظلمات حفرة كم من صحيح قبل هذا اليوم فسقم وكم مطمئن أزعجته حداة المنون فرحل ولم يقم ، وكم ركن شيد بالشهوات واللذات فهدم ، وكم موجود لم يأت عليه هذا اليوم حتى عدم ، وهذا حالك عن قريب لكن الغرور يخفيه وهذا مآلك فتدبر ما أنت فيه فكأنني بك وقد تبدلت الصحة بالسقم وعدمت العافية وجرى بالبلاء القلم وانقضى العمر كما قضى الله وحكم ، وأقبل الموت الذي قدره الله وحتم وبلغت الروح التراقي فنسيت لذة النعم وتحسر القلب لفراق الأحباب وأظهر الدمع ما كتم وما كانت إلا ساعة حتى ذهب الروح وسكن الألم ثم تنقل إلى منزل وعمر شديد الظلم فيا أسفاً إن جازاك مولاك بالمعاصي وانتقم ويا تعساً لك إن زلت عن الصراط منك القدم ، فيا من حالته هذه إلى كم هذه الغفلة في الهوى وكم :

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| تفنى اللذاتة ممن نال شهوته | من الحرام ويبقى الإثم والعار |
| تبقى عواقب سوء في مغبتها   | لا خير في لذة من بعدها النار |

[ قيل ] : إنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له عطيه بن خلف ، وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته . فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح في جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع ألا تدخله النساء إلا في يوم عاشوراء لأجل الدعاء فوقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام ، فقالت : يا سيدي سألتك بالله إلا ما فرجت عني وآثرني بشيء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهـم وما ترك لهم شيئاً وأنا شريفة ولا أعرف أحداً أقصده وما خرجت في هذا اليوم إلا عن ضرورة أحوجتني إلى بذل وجهي ، وليس لي عادة بذلك . فقال الرجل في نفسه : أنا ما أملك شيئاً وليس عندي غير هذا الثوب وإن خلعته انكشفت عورتـي وإن رددتها فأني عذر لي عند رسول الله ﷺ فقال لها : اذهبي عندي حتى أعطيك شيئاً فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتزر بخلق كان ثم ناولها الثوب من شق الباب ، فقالت : ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك باقي عمرك ففرح بدعائها ، وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل ثم نام فرأى في المنام حوراء لم يرى الراؤون أحسن منها ويدها تفاحة قد عطرت ما بين السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة لا تقوم بها الدنيا بما فيها فألبسته الحلة وجلست في حجره ، فقال لها : من أنت ؟ فقال : أنا عاشوراء زوجتك في الجنة ، قال : بم نلت ذلك ؟ قالت : بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس فانتبه وعنده من السرور ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد عقب من طيبه المكان فتوضأ وصلى ركعتين شكراً لله عز وجل ثم رفع طرفه إلى السماء ، وقال : إلهي إن كان منامي حقاً وهذه زوجتي في الجنة فاقبضني إليك فما استتم الكلام حتى عجل الله تعالى بروحه إلى دار السلام :

من عامل الله لم تخسر تجارته وكل ما كان منها كسداً نفقا والله حقاً يجازي المحسنين وقد جاء الكتاب بهذا المعنى وقد نطقا فاطلب رضا الله فيما ترثيه وثق به تنال المني والفوز والسبقا

وقف على الباب وأطرق بالملاب تنل أما ترى الباب مفتوحاً لمن طرقا

[ إخواني ] هذه بعض بشارات المؤمن عند الموت فأين الاستعداد ، أين من يزرع الخير في دنياه ويحمد في عقباه الحصاد ، ما ينقص مال من صدقة بل يزداد ، أين الذين كنزوا الكنوز وعمرؤا البلاد ، أين الذين قادوا الجيوش واستعبدوا العباد ، أين من بنى وشاد ؟ أين الآباء والأجداد ؟ :

غداً توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا  
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

فله درّ من عمل وبادر شهوره وسنينه ، وتدرّج بالحياء والوقار والسكينة وعمل ليوم فيه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ : [ المدثر : ٣٨ ] وعرف قدر هذا اليوم الشريف الذي نجلى الله تعالى فيه نوحاً وأخرجه من السفينة ، وذلك أن نوحاً عليه السلام لما نزل من السفينة هو ومن معه شكوا الجوع وقد فرغت أزوادهم فأمرهم أن يأتوا بفضل أزوادهم فجاء هذا بكف حنطة ، وهذا بكف عدس وهذا بكف فول ، وهذا بكف حمص إلى أن بلغت سبع حبوب ، وكان يوم عاشوراء فسمى نوح عليها وطبخها لهم فأكلوا جميعاً وشبعوا ببركات نوح عليه السلام فذلك قوله تعالى : ﴿ قِيلَ يَنْتُحِ أَهْبِطْ سَلَامٌ مِّمَّا وَبَّرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ : [ هود : ٤٨ ] وكان ذلك أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان فاتخذته الناس سنة يوم عاشوراء وفيه أجر عظيم لمن يفعل ذلك ويطعم الفقراء والمساكين .

[ وقيل : إن موسى عليه السلام ] لما وعده الله سبحانه وتعالى أن يخاطبه ويكلمه ويلقي إليه التوراة في الألواح أمره بصيام ثلاثين يوماً فصامها وهي شهر ذي الحجة ، فلما أنكر خلوف رائحة فمه استاك بعود خروب ، وقيل : زيتون ، وقيل غير ذلك فقليل له : أيها الصائم عن أمرنا كيف أفطرت برأيك ؟ أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمر بصيام عشرة أيام آخر كفارة لما فعل ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سَائِرَ النَّاسِ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الْفَوْسَ وَيُدْخِلُهُ فِي غُفْرَانٍ عَظِيمٍ ﴾ : [ الأعراف : ١٤٢ ] وهي عشر المحرم ، وقيل : عشر ذي الحجة وعلى الوجه الأول يكون آخرها يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذي كلم الله فيه نبيه موسى وأنزل عليه التوراة ، وهو يوم عظيم فضيل فيه تضاعف الحسنات ويعفى عن كل ذنب ثقیل ، فيه تاب الله على آدم وأخرج نوحاً من السفينة وحمله ومن معه بالزاد القليل ، وفيه نجي من النار إبراهيم الخليل ، وشفى من البلاء أيوب ، وردّ يوسف على يعقوب بعد حزنه الطويل ، وفيه أخرج يونس من بطن الحوت وفلق البحر لبني إسرائيل وغفر لداود ذنبه ، وفيه ردّ لسليمان ملكه الردّ الجميل ، وفيه خاطب الله تعالى موسى ورفع فيه عيسى ، وفيه ينزل بالرحمة جبريل ، وفيه غفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وناهيك به من يوم شريف فضيل من صامه فكانه صام الدهر ومن قام ليله فاز بالأجر الوافر والعطاء الجزيل ، ومن كسا فيه عارياً أو أجرى فيه من المعروف جارياً أجاره الله من العذاب الويل ، ومن جبر فيه يتيماً أو أطعم جائعاً عديماً أو سقا فيه شربة ماء أطعمه الله من موائد الجنة وسقاه من الرحيق المختوم والسلسيل ومن تصدق فيه بصدقة كان يوم القيامة تحت ظلها الظليل ، ومن وسع فيه على عياله وسع عليه رزقه وحسن خلقه وخلقه الجميل ، فأكثرُوا فيه التسبيح والتهلل وبادروا فيه بالتوبة إلى الملك الجليل وتزودوا فيه

من الأعمال الصالحة للسفر الطويل فقد ورد في فضله من الإنعام والإحسان ما يقصر عن وصفه كل لسان ويقصر عن حصره كل فضيل .

[ كان وكان ]

|                    |                      |                    |                  |
|--------------------|----------------------|--------------------|------------------|
| يا من يروم الفضائل | في يوم عاشوراء استمع | فإنه في الحقيقة    | يوم شريف فضيل    |
| فتب إلى الله واغنم | صيامه تلقى المنى     | وإن نويت الإنابة   | بادر إلى التعجيل |
| وحصل الزاد واغنم   | هذي الليالي بالتقى   | وابكي بدمع هامى    | على الحدود يسيل  |
| طوى لعبد تيقظ      | وقام في وقت السحر    | وقال يا رب إني     | مذنب عليل ذليل   |
| فامنن عليّ بتوبة   | فأكرّ العمر انقضى    | ولا تخيب رجائي     | فالظن فيك جميل   |
| وليس لي من وسيلة   | إلا النبي المصطفى    | الهاشمي المفضل     | بالوحي والتزليل  |
| رسول ربّ البرايا   | محي الخطايا والزلل   | هو النبي المخصص    | بالقرب والتجليل  |
| صلى عليه وسلم      | ربّ السموات العلى    | ما دامت الورق تبدي | على الغصون هديل  |

اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل ، وخصنا بالأجر الوافر والعطاء الجزيل واغفر لنا فيه كل ذنب عظيم ، وخفف ظهورنا من كل وزر ثقیل ، وتقبل فيه يسير أعمالنا فإنك تقبل العمل القليل ، وأجرنا فيه من عاداتك على كل حسن جميل ، واحشرنا تحت لواء من أنزلت عليه في محكم التنزيل : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ : [ آل عمران : ١٧٣ ] ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### المجلس الثالث والأربعون

#### في مولد رسول الله ﷺ

الحمد لله الواحد فلا يجحد . الأحد الذي في سرمدية توحّد . الفرد الذي في ربوبيته تفرّد . الشكور الذي لا يشكر غيره ولا يحمد ، الغفور الذي يغفر الذنوب لمن يتوب ولا يتردد ، الملك الذي أفنى الممالك والملوك وملكه سرمد ، العلي الذي إليه الكلم الطيب يصعد ، الحاكم الذي حكم بالموت على أهل الدنيا فليس فيها أحد يخلد ، أرسل الرسل ليرشدوا الناس إلى الطريق الأحمد . وجعلهم حجاباً بين يدي من لهم الشفاعة ولواء الحمد في القيامة يعقد ، وجعله آخر الأنبياء ليعين لهم الطريق الأرشد ، فلذلك قال تعالى في كتابا الممجد : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا ﴾ : [ الصف : ٦ ] فنوّه بذكره تشريفاً بقدره وتوقيراً ،

وأطفأ به للمشركين نارهم وأظهر به للمؤمنين نوراً . وأكمل به لأمتة فرحة وسروراً . وأرسله إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً ، وجعله داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً . وبعثه رحمة لكل موجود ونوراً به الوجود تنويراً ، فقال في حقه الملك العلي : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۝٥٥ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ۝٥٦ ﴾ : [ الأحزاب : ٤٥-٤٦ ] فهو سيد المرسلين وإمام المتقين ، ومن شرفه الله على جميع المخلوقين ، ونبأه وآدم بين الماء والطين ، وأرسله إلى كافة الخلق . فقال تعالى في كتابه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ : [ الأنبياء : ١٠٧ ] وجعل مقامه رفيعاً وحسنه بديعاً مولده للمؤمنين ربيعاً ، فما برح دين الإسلام به مرفوعاً ، ودين الشرك به موضوعاً . نقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية فطاب أصولاً وزكاً فروحاً ، ارتج لميلاده إيوان كسرى فانهار بنيانه وتداعى وقوعاً ، شفعه الله تعالى في العصاة من أمتة تعظيماً لقدره ، وجعل كلاً منه لقوله سامعاً ولأمره مطيعاً ، واختاره لهم في الدنيا رسولاً وفي الآخرة شفيعاً ، وأمره بإظهار شرفه عليهم ، فقال له : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ : [ الأعراف : ١٥٨ ] توجّه الله بتاج الوقار ونور به جميع الأفطار ، وشرف فيه البادين والحضار ، وصفاه من جميع الأكدار ، وأخذ لنوره نار فارس وأضاء بمولده غياهب الحنادس وخلع عليه خلع الهيبة والوقار ، وختم به النبيين وتمم به المرسلين ، وأنزل عليه في كتابه المبين ، تشريفاً له ولأصحابه الأخيار ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ : [ الفتح : ٢٩ ] نبي بوّاه مقاماً جليلاً وأعطاه عطاءً جزيلاً ، بشرت بنبوته الأخبار والرهبان ، وأخبرت بظهوره الكهان ، وأظهرت له في الأكوان وصفاً حسناً وثناءً جميلاً ، وأوجده الله في مثل هذا الشهر الشريف ، وفضله على سائر الخلق تفضيلاً ، وكساه من حلل الوقار ثوباً جليلاً ، وأنذر الناس برسالته فقال في محكم آياته : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْهِ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ : [ المزمل : ١٥ ]

|                             |                         |                           |
|-----------------------------|-------------------------|---------------------------|
| ربيع السرور أنار السبيلا    | وأهدى لنا كأسه السلسيل  | بمولد خير الأنام الذي     |
| له الله كان ولياً كفيلاً    | ترى قبل موتي أزور الحمى | وأبرىء منها الفؤاد العليل |
| وأنظر وادي قبا قد بدا       | لعيني وأشهد ذاك النخيل  | ويدنو البقيع وقبر الشفيع  |
| بمن طاب فرعاً وأصلاً أصيلاً | وألثم ذاك الضريح الذي   | تضمن خير الأنام الرسولا   |

نبي الهدى ما حيا للردى ويجلو الصدا وهو يهدي السبيلا

عليه من الله طول المدى سلام إذا رام حاد رحبلا

فيا ذوي العقل الراجح والذهن السليم ، أنظروا ما أعدّ الله تعالى لهذا النبي الكريم من العطاء الجزيل والتبجيل التكريم ، والحظ الوافر والفضل الجسيم ، فهو النبي الكريم المخصوص

بالخلق العظيم الموصوف بالتبجيل والتعظيم ، المنزل عليه في الآيات والذكر الحكيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ : [ التوبة : ١٢٨ ] إن أولى ما استفتح به الإنسان ونطق به اللسان ، كلام من خلق الخلق والأنام للفضل عليهم والإحسان إليهم ليس ذلك لحاجة ألقائه إلى إيجادهم ، ولا ضرورة أحوجته إلى انقيادهم ، إذ هو الغني على الإطلاق والذي لا تنفى خزائنه بكثرة الإنفاق ، ومن أعظم إحسانه وأكثر امتنانه على عباده إن أرسل إليهم صفيه الكريم ، ونبهه الجليل العظيم ، ورسوله الصادق الأمين ، الذي قال سبحانه في صفة إبلاغه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ : [ التكوين : ٢٤ ] فأطفأ بنور وجوده دياجي الكفر ، وأطلع في سماء الإيمان زهر الدراري ودراري الزهر ، وأضاء بأنواره غياهب الحنادس ، وأخذ به نار فارس ، وشق إيوان كسرى إنذار بزوال ملكه ، ورأى قيصر رؤياه الدالة على هلكه ، فيجب على أمته التي رفعها الله به على الأمم ، وطأطأ لها بسيف عزمه شوامخ القمم ، أن يتخذوا ليلة ولادته عيداً من أكبر الأعياد ، ويجتهدوا في الفرح فيه غاية الاجتهاد ، ويتقربوا إليه بإكرام الغرباء والفقراء ، ويمثلوا وصيته في إطعام اليتامى والأرامل والضعفاء ، ويتلوا قصة مولده على أسماع الأمم ، ويتحققوا عندهم ما أوجده الله بوجوده من الكرم ومحاسن الشيم ، ليتقرر في خواطرهم ماله عند الله من المكانة والإمكان ، وأنه ما خلق الله مثله من إنسان وما أذكر مولده مسنداً عن الأئمة الصادقين وأتوا قوله تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ : [ المؤمنون : ١٤ ] فقد روي عن مخزوم بن هاني عن أبيه وكان قد بلغ من العمر مائة وخمسين سنة قال : ولد النبي ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، ولاثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان ، ولثمان سنة وستة أشهر من ملك عمرو بن هند . وذلك أن عبد المطلب نام ليلة في الأبطح فرأى كأنه خرج منه سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف : طرف بلغ مشارق الأرض ، وطرف بلغ مغاربها ، وطرف بلغ إلى عنان السماء ، وطرف رجع حتى صار شجرة خضراء ، فلما أصبح سأل عن ذلك ؟ فقالوا : إن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك من يؤمن به أهل السموات والأرض ، وروى كعب الأحبار رضي الله عنه قال : لما أراد الله عز وجل خلق الموجدات ، وخفض الأرض ورفع السموات قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً فصارت عموداً من نور وأشرق حتى انتهى إلى حجاب العظمة فسجد وقال : الحمد لله ، فقال الله تعالى : لهذا خلقتك وسميتك محمداً منك أبدأ الخلق ، وبك أختم الرسل ، ثم إن الله عز وجل قسم نوره إلى أربعة أقسام : فخلق من القسم الأول اللوح ، ومن القسم الثاني القلم ، ثم قال الله تعالى للقلم : اكتب ، فارتعد من الهيبة ألف سنة ، فقال : يا رب وما أكتب ؟ قال :

اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله فكتب القلم ذلك فاهتدى إلى علم الله تعالى في خلقه فكتب : أولاد آدم لصلبه ، من أطاع الله أدخله الجنة ، ومن عصى الله أدخله النار ، أمة إبراهيم كذلك ، أمة موسى كذلك ، أمة عيسى كذلك حتى انتهى القلم إلى أمة محمد ﷺ فكتب أمة محمد من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصى الله أراد أن يكتب أدخله النار ، فإذا النداء من العلي يا قلم تأدب فانشق من الهيبة وانقط بيد القدرة فصار ذلك عادة في القلم لا يكتب إلا أن يكون مشقوقاً مقطوطاً ، فقال له : اكتب : أمة مذنبه ورب غفور . ثم خلق الله عز وجل من القسم الثالث العرش ، ثم قسم القسم الرابع على أربعة أقسام : فخلق من القسم الأول العقل ، ومن الثاني المعرفة ، ومن الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار والنهار ، فكل هذه الأنوار من نور النبي المختار فكان هو أصل المخلوقات كلها ، ثم بقي ذلك القسم الرابع من النور مستودعاً تحت العرش حتى خلق الله عز وجل آدم ﷺ فوضع ذلك النور في ظهره وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفوفاً ينظرون إلى نور محمد ﷺ فقال آدم : يا رب ما هؤلاء الملائكة يقفون صفوفاً خلف ظهري ؟ قال الله تعالى : يا آدم ينظرون إلى نور حبيبي وصفوتي من خلقي محمد خاتم الأنبياء الذي أخرجته من ظهرك ، فقال آدم : يا رب اجعل هذا النور في مقدمي حتى يستقبلوني ولا يستدبروني فجعل الله ذلك النور في جبهته فكانت الملائكة تقف قبالة آدم فيسلمون على نور محمد ويصلون عليه ، فقال آدم : يا رب أريد أن يكون لي نصيب من هذا النور كما للملائكة فاجعله مني في كان أراه فنقل الله ذلك النور من جبهته إلى السبابة من يده اليمنى فكانت الملائكة تسبح فيسبح نور محمد ﷺ في أصبع آدم . فلذلك سميت من بين الأصابع المسبحة ، ثم قال آدم : يا رب هل بقي من هذا النور شيء في ظهري ؟ فقال : بلى بقي نور بقية صحابته ، فقال : يا رب اجعله في بقية أصابعي فجعل الله نور أبي بكر في أصبعه الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر ، ونور علي في الإبهام فما زالت هذه الأنوار تتلألأ في أصابع آدم ما دام في الجنة حتى أصاب من الشجرة ما أصاب فردّ الله تلك الأنوار إلى ظهره ، ثم إن الله عز وجل عرف آدم قدر ما أودعه من السر ؛ وقال له : تطهر وسبح وقصد واغش زوجتك على طهارة منك ومنها ، فإني مخرج منكما نوري ، ففعل آدم ما أمر به فنقل الله ذلك النور من آدم إلى حواء فكان يرى في جبهتها دارة كدارة الشمس ، فلما وضعت شيئاً ﷺ انتقل النور إلى جنين شيث ﷺ ، فلما كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ آدم ﷺ العهد والميثاق ألا يودع هذا السر إلا في المطهرات من النساء ليصل إلى المطهرين من الرجال ، فانتقل ذلك النور من شيث إلى أنوش ، ثم إلى قينان ، ثم إلى مهلائيل ، ثم إلى يرد ، ثم إلى أخنوخ ، ثم إلى متوشلخ ، ثم إلى ملك ،

ثم إلى نوح عليه السلام ، ثم إلى سام ، ثم إلى أرفخشذ ، ثم إلى شالخ ، ثم إلى عابر ، ثم إلى فالع ،  
 ثم إلى راغو ، ثم إلى ساروغ ، ثم إلى ناحور ، ثم إلى تارخ ، ثم إلى آزر ، ثم إلى إبراهيم  
 الخليل عليه السلام ، ثم إلى إسماعيل ثم إلى قيثار ، ثم إلى نبت ، ثم إلى سلامان ، ثم إلى الهميسع ،  
 ثم إلى اليسع ، ثم إلى أدد ، ثم إلى أد ، ثم إلى عدنان ، ثم إلى معد ، ثم إلى نزار ، ثم إلى مضر ،  
 ثم إلى إلياس ، ثم إلى مدركة ، ثم إلى خزيمة ، ثم إلى كنانة ، ثم إلى النضر ، ثم إلى مالك ، ثم  
 إلى فھر ؛ ثم إلى غالب ، ثم إلى لؤي ، ثم إلى كعب ، ثم إلى مرة ، ثم إلى كلاب ، ثم إلى  
 قصي ، ثم إلى عبد مناف ، ثم إلى هاشم ، ثم إلى عبد المطلب ، ثم إلى عبد الله والد محمد صلى الله عليه وآله :

ما زال نور محمد متناً في الطيبين الطاهرين أولى العلا  
 حتى لعبد الله جاء مطهراً ومكرماً ومعظماً ومبجلاً

فلما أراد الله عز وجل إخراج تلك الوديعة من خزائن الأصلاب الرفيعة ، إلى كنز أحشاء آمنة  
 المنيعة ، وظهرت لانتقال نوره الآيات ، وتباشرت به جميع المخلوقات ؛ نوذي في جميع الأرض  
 والسموات : يا عرش تبرقع بالوقار ، يا كرسي تدرع بالوقار ، يا كرسي تدرع بالفخار . يا  
 سدرة المنتهى ابتهجي . يا أنوار المهابة تبلجي . يا جنان ترخفي . يا حور من القصور أشرفي ، يا  
 ملائكة الله اصطفي وتمنطقي بالعرش وحفي . يا رضوان افتح أبواب الجنان . وزين الحور  
 والولدان . أطلق مجامر الطيب وعطر الأكوان . يا مالك أغلق أبواب النيران ، فإن النور  
 المكنون والسر المصون المخزون . الذي في خزائن قدرتي في هذه الليلة من عبد الله ينفصل ،  
 وإلى آمنة يتصل . وإلى أحشائها في هذه الساعة ينتقل . التي فيها يتم خلقه تماماً جلياً . ويخرج  
 إلى الناس بشراً سوياً . فلما أذن الله سبحانه وتعالى في انتقال نور محمد صلى الله عليه وآله انتقل عشية الجمعة  
 أول ليلة من شهر رجب الفرد . وقيل منتصف جمادى الآخرة وهو قول الواقدي ولم يبق في  
 تلك الليلة دار ولا مكان إلا ودخله نور . ولا دابة إلا نطقت . وقال ابن عباس رضي الله  
 عنهما : كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وآله أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة  
 وقالت : حمل برسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها . قالت آمنة : لما مر  
 لي من حملي ستة أشهر مات أبوه عبد الله وأتاني آت في المنام فوكزني برجله ، وقال : يا آمنة  
 أبشري فقد حملت بخير العالمين طراً ، فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك ، قالت : وفي  
 مدة حملي به ما شكوت وجعاً ولا ألماً ولا ثقلأ ولا مغصاً ، ولقد حملت به تسعة أشهر كمالاً .  
 فلما حان وقت ولادتي أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من قومي وإني لوحيدة في المنزل  
 وعبد المطلب في طوافه فمددت كف السؤال إلا من لا تحفى عليه خافية ، فإذا أتت بالأخت  
 المواسية : امرأة فرعون آسية . ثم نظرت نوراً أضواء منه المكان . فإذا هي مريم ابنة عمران .

ثم شاهدت وجوهاً كالبدور . فإذا هم جماعة من الحور . فاشتد بي الطلق فاستندت على النساء .  
ثم أعانني عالم الغيب والشهادة على تسهيل الولادة ، فوضعت الحبيب معتمداً على يديه  
شاخصاً إلى السماء بعينه ، حنت آسية عليه ، بادرت مريم إليه ، قبلت الحور قدميه ، نزل إلى  
المنزل جبريل ، حف به ميكائيل . جاء إلى خدمته إسرافيل أخفوه عن الأبصار . طافوا به جميع  
الأقطار . غمسوه في الجنة في سائر الأنهار . كتبوا أسمه على أوراق الأشجار . ثم عادوا على  
بالمفضل على الكونين . في أسرع من طرفة عين ، أخذته آسية تكحله فوجدته مكحولاً بكحل  
الهدى ، أرادت مريم أن تقطع سرتة فوجدته مقطوع السرة قد زال عنه الردى ، قدمت حور  
العين أنواع الطيب ، طيبت به شمائل هذا الحبيب ، سارعت إلى طلعتة المباركة ، ثلاثة من  
الملائكة ، مع أحدهم طست من الذهب الأحمر ، ومع الثاني إبريق من الجوهر ، ومع الثالث  
إبريق من السندس الأخضر ، فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من الخرقه خاتم  
النبوة والتصديق ، وله لمعان وبريق ، وختموا به ظهر هذا النبي الشفيق ، فتم بذلك سعده  
والتوفيق ، وقيل لأمه آمنة : لا تدعي أحداً من العالمين ينظر إلى محمد الصادق الأمين ، حتى  
تنقضي عنه زيارة الملائكة المقربين . ولنا ولد محمد ﷺ وسقط اهتزّ العرش طرباً ، وزها  
الكرسي عجباً ، ومنعت الجنّ عن السماء ، وقالوا : لقد رأينا في طريقنا نصباً ، وضجت  
الملائكة بالتسبيح رغباً ورهباً ، ونشرت الرياح وأبدت سحباً ، وأمالت في الحداثق من الغصون  
قضباً ، ونادت الكائنات من جميع الجهات أهلاً وسهلاً ومرحباً :

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| نسيم الصبا أهلاً وسهلاً ومرحباً | قدمت فأقدمت السرور إلى الربا |
| وجدت في كل القلوب مسرة          | ونشرك أضحى في الوجود مطيبا   |
| متى أنظر الأعلام يا سعد قد بدت  | ويصبح قلبي من حماء مقربا     |
| فقد زمزم الحادي بذكر محمد       | نبي كريم للشفاعة مجتبي       |
| رسول عظيم مصطفى ذو مهابة        | له الله بالذكر المرفع قد حبا |
| فلولاه ما سار الحجيج لمكة       | ولا حنّ مشتاق لنجد ولا صبا   |

فسبحان من أطلع كواكب سعوده في الأكوان فطلعت ، وألمع بوارق جوده فلمعت ، وبثّ  
أنوار أعمار شهوده فتلاأت وسطعت ، وقطع آمال الكفار من مرادهم فانقطعت ، وأذل  
ملوكهم بعزه فذلت لهيبته وخضعت ، فالإنس بقدومه قد تأنست وارتفعت ، والجن من  
استراق السمع قد منعت ، والأملاك في الأفلاك قد سجدت وركعت ، وآمنة قد فازت بما  
حازت حين لجمال هذا الحبيب قد وضعت ، وحليمة الحليمة تشرفت إذ له أرضعت ، وألسنة  
المدايح قد أثنت بشكره في الآفاق وأسمعت :

|                             |                          |                             |
|-----------------------------|--------------------------|-----------------------------|
| قلوبنا في الغرام قد ولعت    | ما فترت عنه لا ولا رجعت  | وأذننا شرفت ومسمعها         |
| من طيب أذكّره التي سمعت     | طلعتة تخجل البدر إذا     | ما ظهرت للعيون أو طلعت      |
| وقده يخجل الغصون إذا        | ما نظرت قده له ركعت      | كل مليح له أقر كما          |
| جوامح الحسن فيه قد جمعت     | محمد سيد الأنام ومن      | أعناق أعدائه له خضعت        |
| جاءت لنا رحمة بمولده        | ومذ أمدت به فما انقطعت   | وفي ربيع جاءت بشائره        |
| فمذ أتنا أسواؤنا دفعت       | فمثلته في الأنام سائرة   | ما حملت حامل ولا وضعت       |
| أفي الدنيا غيره بمولده      | أشرقت الأرض والسما سطعت  | وينزل الغيث والغيث به       |
| ومن سنه البرق قد لمعت       | يا مولد المصطفى جمعت لنا | أنواع بشر في القلوب قد زرعت |
| ويا ربيعاً لنا بمرعبه       | أوقات أنس بالخير قد رفعت | ليتك لو كنت دائماً          |
| فإن أعدائنا بك انقمعت       | يا سيد المرسلين خذ بيدي  | فأدعني من جنائتي همعت       |
| واشفع لنا في المعاد يا أملي | من حر نار الجحيم قد لذعت | فمنك نرجو أن لا تخيننا      |
| يا من به الكائنات قد نفعت   | عليك صلى الإله ما سهرت   | عين وما في مناهها هجعت      |

وآلك الطهر والصحاب ومن تحب من أمة لك اتبعت

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## المجلس الرابع والأربعون

### في التنزيه ، وذكر الصالحين

الحمد لله الذي اعترف بفضلته كل حاضر وبادي ، واغترف من بحر برّه كل رائح وغادي ، وهمعت بفضل وجوده عيون السحب الغواصي ، وسبح بحمده النهار الزاهر والليل الهادي ، ونطق بحكمته الكائنات لذوي البصائر والعقول ، والسموات تقول : سبحان من رفعتني بقدرته وأمسكني بقدرته فهو ركني وعمادي ، والأرض تقول : سبحان من وسع كل شيء علماً ، وفرش فراشه على الماء ومهد مهادي ، والجبال تقول : سبحان من قوى أركانها وثبت بنيانها وأوتادي ، والبحار تقول : سبحان من بمشيئته أجراي وأسأل عيوني وغدراي لورادي وقصادي ، والعارف يقول : سبحان من دلني عليه وجعل إليه مرجعي ومعادي ، والعالم يقول : سبحان من فتح مسامع أفهامي ووقفني في أحكامي واجتهادي ، والعابد يقول : سبحان من أيقظني في الليل لنيل أوطاري وأقامني لأذكاري وأورادي ، والمذنب يقول : سبحان من اطلع عليّ في المعصية ورآني فسترني وغطاني وتاب عليّ لما تبت وهداني وأصلحني

بعد فسادى ، فسبحانه من إله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا وينادى : هل من تائب فأتوب عليه ؟ وأنظر إليه بعين ودادى ، هل من مستغفر فأغفر له ، وأرى طريق رشادى ؟ هل من داع فاستجيب له ؟ وأنجز له بالفضل ميعادى ؟ هل من سائل فأعطيه ما سأل وأجود عليه بانعامى وإرفادى ؟ فى أيتها الغافل إلى متى هذه الغفلة والتمادى ؟ انهض على قدم الندم والاعتذار ، وداو بمداومة الأذكار قلبك الصادى ، وقف فى الأسحار بالذلة والانكسار بين يدي الملك الجبار ونادى :

|                         |                         |                            |
|-------------------------|-------------------------|----------------------------|
| أتيت إليك يا رب العباد  | بإفلاسي وذلي وانفرادي   | وها أنا واقف بالباب أبكي   |
| زماناً ما بلغت به مرادي | عسى عفوي بلغني الأمانى  | فقد بعد الطريق وقل زادي    |
| فأنت ذخيرتي وبك انتصاري | وفيك تولي وبك اعتمادى   | وعنك إشارتي وإليك قصدي     |
| ومنك مسرتي وبك اتقيادي  | ومالي حيلة إلا رجائي    | وفيك على المدى حسن اعتقادي |
| ولو أقصيتي وقطعت جلبي   | وحقك لا أحول عن الوداد  | فجد بالعفو يا مولاي ورحم   |
| عيداً ضل عن طريق الرشاد | وقد وافي ببابك مستجيراً | يخاف من القطيعة والبعاد    |

توسل بالنبي الطهر حقاً شفيح الخلق في يوم المعاد  
عليه من المهيم كل وقت صلاة ما حدا بالركب حادي

[ وعن ثوبان رحمه الله ] قال : قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي من عدن إلى عمان إلى اللقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد أولئك أهل الله وخواصه من عباده :

رجال لهم حال مع الله صادق فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا  
تحوم على الدنيا وتبغي تزهداً فلا أنت معدود هناك ولا هنا

[ مرّ سري السقطي رحمه الله ] برجل ملقى على الأرض ، وهو سكران والخمر يطفح من فيه ، وهو يقول : الله الله فرفع السري طرفه إلى السماء وقال : إلهي إنسان يذكرك لا يكون هكذا ثم دعا بماء فغسل فمه ، ثم تركه ومضى . فلما أفاق الرجال قالوا : إن الشيخ السري قد رآك ، وفعل معك خيراً وغسل فمك فخرج واستحي ولام نفسه ووبخها . وقال : ويحك يا نفس إن لم تستح من الله ومن أوليائه فممن تستحين ؟ ثم ندم وتاب بما كان فيه وبات السري فرأى في منامه قائلاً يقول له : يا سري أنت طهرت فمه لأجلنا ، ونحن طهرنا قلبه من أجلك ، فلما أصبح السري سأل عن ذلك الرجل فوجده في بعض المساجد وهو قائم يصلي ، فلما فرغ قال

له السري : يا أخي كيف حالك ؟ فقال : يا سيدي كيف تسأل عن حالي ، وقد أخبرك الكريم أنه طهر قلبي من أجلك وأصلح بالي ؟ قال : وقد أعلمك بهذا ؟ قال : الذي طهر قلبي من سواه ، وجاد عليّ بعفوه ورضاه :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| من مثل ربك تعصيه وتهجره       | ويسبل الستري إذا الغدر فارتدع |
| يا ناقض العهد يا من حاله قبحت | مع الإله بلا خوف ولا جزع      |
| ضيعت عمرك تسويفاً بلا عمل     | تسمي وتصبح بين الحرص والطمع   |
| وتسمع الوعظ لا تنهاك زاجرة    | بل أنت في غفلة عن ذاك فاستمع  |
| فقم لتقرع باباً للذي كثرت     | للسائلين عطاياه وأنت معي      |
| لعله أن يرانا تائبين له       | يمنّ بالعفو عن عصياننا الشنع  |

[ قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى ] : رأيت غلاماً نحيفاً مصفر اللون دقيق الساقين يمشي في البرية بلا زاد ولا ماء ولا نعل فسلمت عليه وقلت له : ما لي أراك على هذه الحالة ؟ فبكى وأنشد :

ذاب مما بفؤادي بدني وفؤادي ذاب مما في البدن      اقطعوا جلبي وإن شتم صلوا  
كل شيء منكمو عندي حسن      صح عندي الناس أي واله      غير أن لم يعلموا حبّي لمن  
قال ذو النون المصري : ثم لا أدري أين ذهب ، يا هذا أطيّب المعاملة ما طاب منها ،  
وأعذب الموارد ما راق وحلا ، ما صفا عيش القوم حتى قلبهم في قلب الابتلا ، سكن قلوبهم  
بسكنة المسكنة وقطع منها أرباً وأملأ ، ونادى عليهم في سوق الشوق بين الملا ، أتصبرون  
على البلاء قالوا : بلى ، فسقاهم رحيق التوفيق ختامه مسك التصديق ، فعابوا على النفس  
وغابوا في فلوات التحقيق ، وتلذذوا بالفقر والفاقة في سلوك الطريق ، فأنسوا بخلواتهم في البرّ  
الأفقر ، لهم تهافت عند ذكر الحبيب الأكبر ، ولهم تواجد عند سماع « رب أشعث أغبر » كان  
أويس القرني رحمه الله إذا جاع يأتي المزابل فأتاها يوماً فإذا كلب ينبج عليه ، فقال له : لا تؤذ  
من لا يؤذك أنت تأكل مما يليك ، وأنا آكل مما يليني ، فإن دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن  
دخلت النار فأنت خير مني :

|                              |                        |
|------------------------------|------------------------|
| ذل الفتى في الحب مكرمة       | وخضوعه لحبيبه شرف      |
| وإذا تذلل عزّ قدراً في الهوى | وأنته بعد الفاقة التحف |

[ وقال سري السقطي رحمه الله ] : دخلت المقبرة فرأيت بهلولا المجنون على قبر يتمرغ على التراب فقلت له : ما جلوسك ههنا ؟ فقال : أنا عند قوم لا يؤذونني ، وإن غبت عنهم لا يغتابونني فقلت له : الخبز قد غلا ، فقال : والله ما أبالي ولو حبة بدينار ، علينا أن نعبده كما

أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا . وقيل : إن رابعة العدوية رحمها الله مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها ، فقالت له : يا هذا إلى متى تشغل بالأغيار عن الواحد الجبار ؟ ويحك عليك بالجار ثم الدار ، فقال لها : اذهبي يا مجنونة فقالت : أنا لست بمجنونة ، وإنما المجنون من لم يفهم ما أقول يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه ، والنار بستان من كان الله مؤنسه وجليسه ، ألا ترى إلى آدم لما كان في الجنة كان يرتع ويتهنى فلما تعرض للأكل من الشجرة صارت عليه سجناً ، وإبراهيم الخليل لما حفظ سره لمولاه قربه واجتبه ، فلما طرح في النار صارت عليه برداً وسلاماً :

فروحي وريحاني إذا كنت حاضراً وإن غبت فالدنيا عليّ محابس  
إذا لم أنافس في هواك ولم أغر عليك ففيمن ليت شعري أنافس

[ قيل : كان حبيب النجار رحمه الله ] من الأولياء الأخيار الأتقياء الأبرار يقوم الليل ويصوم النهار ، ويؤثر بطعامه عند الإفطار ، ويبيت طاوياً في خدمة الملك الغفار ، فإذا كان وقت الأسحار ناجى ربه ، وقال بلسان الذلة والانكسار : غرقت في بحار غفلتي ، وركضت في ميدان صبوتي ، وعثرت بأذيال ذلتي ، وتحيرت في ببداء شقوتي ، ومالي غيرك أعتمد عليه ، ولا أعرف باباً غير بابك فالتجىء إليه ، وها أنا عبدك الذليل المذنب العليل قد وقفت ببابك ولذت بمجنابك ، فإن لم ترحمني فيا ذلي ويا شقوتي ، وإن لم تعف عني فيا طول حسرتي ، ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر ، فإذا صلى وفرغ شرع في القراءة من أول الختمة إلى آخرها بقية يومه فلما مات كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى ﴿ إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : [ يس : ٢٤ ] فلما دفن سألته ملائكة ربه عن الإيمان . فقال : ﴿ إِنْ إِيَّائِي فَرِحْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ [ يس : ٢٥ - ٢٦ ] فله درهم من أقوام قاموا ينجون الحبيب والناس نيام ، يتحملون أثقال الوجد والغرام ؛ ويفرحون بالليل إذا جنّ الظلام ، فهم غداً في جنان الخلد يتنعمون ، وإلى وجه الحبيب ينظرون ، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون :

|                          |                              |                        |
|--------------------------|------------------------------|------------------------|
| نه قوم بذكره اشتغلوا     | وفي حمى قربه لقد نزلوا       | ليس لهم غير ذكره فرح   |
| بهم حقيقاً عليه قد حصلوا | من ذاق وصل الحبيب هام ولم    | يحمل له منزل ولا طلل   |
| بروحهم في وصاله سمحوا    | وحققوا ربحهم وما جهلوا       | قاموا ينجونه وقد عملوا |
| بأنهم للمعاد قد عملوا    | فلمستعذبوا الصعب في هواه وقد | لذّهم في رضاه ما حملوا |

[ قال أبو بكر بن عبد الله رحمه الله ] : تهمت في بادية العراق أياماً فلم أجد شيئاً أرتفق به فبينما أنا سائر إذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فإذا على باب الخيمة ستر مسبل

فسلمت فردّت علي السلام عجوز من داخل الخباء ، وقالت : من أين الرجل ؟ قلن : من مكة ، قالت : وأين تريد ؟ قلت : الشام ، قالت : أرى سيحك سيح البطالين هلا لزمّت زاوية تعبد الله فيها إلى أن يأتيك اليقين ثم تنظر في هذه الكسرة التي تأكلها إن كانت من حلال فتجوهر باطنك ثم قالت لي : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قالت : فقرأ عليّ آخر سورة الفرقان فقرأتها فصرخت وأغمي عليها فلما أفاقّت قالت : لما قرأت هذه الآيات اقشعر جلدي لقراءتها ثم قالت لي : أقرأها ثانية فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الأولى ثم مكثت طويلاً فقلت في نفسي : ترى ماتت أم لا ؟ فرجعت ذاهباً مقدار نصف ميل فأشرفت على واد فيه عرب فابتدرني غلامان ومعهما جارية فقال لي أحد الغلامين : يا هذا أتيت على الخيمة الشعر التي بالفلاة ؟ قلت : نعم قال : قرأت القرآن عند العجوز ؟ قلت : نعم قال : ماتت ورب الكعبة ، فمضيت مع الغلامين حتى أتينا الخيمة فدخلت الجارية وكشف عن وجه العجوز فإذا هي ميتة فعجبت من خاطر الغلام ثم قلت للجارية : من هذان الغلامان ؟ فقالت : هما شريفان جعافرة وهذه أختهما منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس وإذا نزلوا بواد انفردت عنهم وضربت خيمتها في الفلاة وحدها ، وكانت تأكل كل ثلاثة أيام مرة واحدة .

[إخواني] إلى متى تشغلون في اللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات ، بادروا الأوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات ، أما أيقظكم منادي الشتات ، أما هزكم حديث الصالحين والصالحات ، إذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات ، وإذا أقبل الليل ضجوا فيه بحنين الأصوات ، ليس لهم إلى غير محبوبهم التفات ، فهم الأبطال والسادات :

|                       |                      |
|-----------------------|----------------------|
| حياتنا باطل غرور      | وعمرنا ذاهب قصير     |
| والناس في غفلة نيام   | وقد دعتهم لها القبور |
| والعمر يمضي وليس ندري | مثل سفين بنا تدور    |
| يا نفس ما سرّ فهو حزن | لا تحسبي أنه سرور    |
| تذكري الموت واستعدي   | له فقد جاءك النذير   |

[قال عبد الرحمن القرشي] : كنت أصحب إبراهيم بن أدهم وأسوح معه فسرنا في طريق الحجاز ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولا شراب فقلقت فعرف ما بي من الجوع فجلس ورنق وجلست إلى جانبه ، وإذا برغيف سخن سقط في حجري فرفع إبراهيم رأسه وقال لي : كل فأكلت نصفه فشبع ثم سرنا فمررنا بقافلة قد حبسها الأسد عن المسير فتقدم إبراهيم إليه وقال له : يا قسورة إن كنت قد أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فاذهب فولى الأسد هارباً وسار القوم فقالوا له : بالله عليك يا سيدي إلا ما دعوت لنا فنحن نخاف في السفر ، فقال

لهم : قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذي لا يضام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نهلك وأنت رجاؤنا . قال عبد الرحمن : فلقيت رجلاً من أهل القافلة بعد مدة فسألته ، فقال : والله مذكنا ندعو بهذا الدعاء الذي علمنا الشيخ ما مرّ بنا سبع ولا لص ولا مرجف ثم ركب معنا ذلك الرجل في مركب في البحر فعصفت الريح وهاجت الأمواج واضطرب المركب وخفنا الغرق فبكى الناس وضجوا فقال : الرجل : يا قوم معنا في السفينة شيخ صالح كان من أمره كيت وكيت فسلوه أن يدعو لكم فأتيته وهو نائم في ناحية السفينة ملفوف رأسه في الكساء فأيقظناه وقلنا له : يا سيدي أما ترى ما الناس فيه من الشدة فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أرينا قدرتك فأرنا عفوك ، قال : فما استكمل كلامه حتى سكنت الريح وهدأ الموج وسارت السفينة . قال عبد الرحمن : فلما نزلنا من السفينة سرنا أياماً فهلكت من الجوع فشكوت إليه فأخذ المزود ورقى إلى شجرة البلوط فملاً المزود ثم أتى به فإذا هو رطب جنني فما أكلت شيئاً ألد منه ولا أطيب . قال : وعطشت معه في بعض السياحات ليلاً فشكوت إليه ذلك ، فقال لي : اشرب فنظرت فإذا دلو قد دُلي من الهواء وفيه ماء لم أذق أطيب منه طعاماً ولا أحسن ريحاً فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك أصوم في الهواجر فلا أجوع ولا أعطش ، هؤلاء والله الأقوام صفوة الملك العلام :

قوم إذا عبث الزمان بأهله      كان المفر إلى الزمان إليهم      وإذا أتيهمو لدفع ملامة  
جادوا عليك بما يكون لديهم      فإذا أتيهمو أنسخ بجانبهم      أولا تنخ فافر السلام عليهمو

فله درهم من رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم من مجال قد أسبلوا العبرات على الوجنت ووصلوا الزفرات بالحسرات ، ونادوا : يا من لا تحيط به الصفات ، أنقذنا من ظلم الآفات ، فلو تراههم وقد براههم الوجد ، وأنخلهم الشوق ولم يشكوا المأ ولا ضرراً ، وناجاهم الحبيب وناداهم بالترحيب سحراً ، وركبوا خيل الليل وساروا فحمدوا عند الصباح السري :

لله درّ رجال واصلوا السهرا      واستعذبوا الوجد والتبريح والكفرا  
قوم نجوم الهدى في الليل تعرفهم      هم الملوك هم السادات والأمرأ  
كل غدا قلبه بالله مشتغلاً      عمن سواه وللذات قد هجرا  
يمسي ويصبح في وجد وفي قلق      مما جناه من العصيان منذعرا  
يقول يا سيدي قد جئت معترفاً      بالذنب فاغفره لي يا خير من غفرا  
حملت ذنباً عظيماً لا أطيق له      ولم أطع سيدي في كل ما أمرأ  
عصيته وهو يرخي ستره كرمأ      يا طالما قد عفا عني وقد سترأ  
يا طالما كان لي في كل نائبة      إذا استغثت به في كربة نصرأ

وإنني تائب مما جنيت وقد  
لعلّ تقبل عذري ثم تجبرني  
وقد أتيت بذلي راجياً كرمًا  
وقد تشفعت بالهادي البشير ومن  
تالله لو لم يكن في الأرض ما نبتت  
متى أسير إلى ذاك الجنب متى  
صلى عليه إله العرش ما ركضت  
وافيت بابك يا مولاي معتذرا  
يوم الحساب إذا وافيت منكسرا  
إليك يا سيد السادات مفتقرا  
فاق النبيين والأملأك دون مرا  
زرعاً ولا أنزل الباري بها مطرا  
أحظى برؤيته أقضي بها وطرا  
نوق وما زمزم الحادي لها وسرى  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### المجلس الخامس والأربعون

#### في محبة الله عز وجل

الحمد لله ذاكرًا من كان له ذاكرًا ، وشاكر من كان له شاكرًا ، الذي عمت رحمته أولاً وآخراً ،  
وكفلت نعمته مؤمناً وكافراً ، وأسهر عيون أهل محبته في خدمته ، فالسعيد من بات في طاعته  
ليلاً ساهراً ، شغلهم بحبه ولذذهم بعبته فأصبح شذاهم بتقواهم في الأكوان عابقاً عاطراً ،  
سامرهم في خلوة التقريب عند غفلة الرقيب ، ويا فوز من له الحبيب مسامراً ، سقوا بساتين  
أشجانهم بماء دموع أحزانهم فأصبح روض إيمانهم زاهياً زاهراً ، وخربوا ربوع هواهم زهداً في  
دنياهم ورغبة في أخراهم فأضحى ربيع تقواهم بمولاهم عامراً ، دعاهم إلى مشاهدة جماله  
وجعل لهم من الجزيل نواله وأفضاله نصيباً وافراً :

فهم الذين تمزقوا في حبه  
فجوههم بضياته قد أشرقت  
ركبوا نجائب شوقهم تحت الدجى  
قد خصهم بالقرب منه وبالرضا  
مولى إذا العاصي ألم ببابه  
وإذا أتاه الطالبون لفضله  
وتهكوا فرأوا جمالاً باهرا  
وشذاهمو في الكون أصبح عاطرا  
فلأجل ذا حمدوا سراهم باكرا  
وكسا وجوههم ضياء مزهرا  
غفر الذنوب له وأضحى ساترا  
أعطاهمو منه نصيباً وافرا

فسبحانه من إله لم يزل عظيماً قادراً حليماً غافراً ، كريماً ساتراً حاكماً على الخلائق بسطوته

قاهراً ، عادلاً في حكمه لا خائفاً ولا جائراً ، من عامله أربحه بعدما كان خاسراً ، ومن لجأ إليه بذله وفقره كان لذله راحماً ، ولكسره جابراً ، ومن عصاه بجهله ثم تاب إليه من قبيح فعله كان لذنوبه غافراً ، ومن ذكره في نفسه كان له بين ملائكة قدسه ذاكراً ، ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً وافرأ ، من طلبه عند شدته ودعاه عند كربته وحده لضربه كاشفاً ولخذلانه ناصراً :

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| ولناظري يا نور عيني ناظرا   | أنت الذي ما زلت مني حاضرا    |
| ولسمعي أبداً حديثاً سائرا   | ولقلبي الملهوف شغلاً شاغلاً  |
| حيث اتجهت رأيت نوراً باهرا  | فإذا نظرت فأنت قبلة ناظري    |
| وإذا نطقت فعنك أروي ماهرا   | وإذا سمعت فعنك أسمع دائماً   |
| عند انفرادي مؤنساً ومسامرا  | أنت الذي ما زلت لي في وحدتي  |
| إلا وجدتك لي معيناً ناصرا   | مارمت منك على الحقيقة نصرة   |
| يا رب إلا كنت مني حاضرا     | كلا ولا ناديت في غسق الدجى   |
| أبدى العيان له دليلاً طاهرا | أبدأ يناجيك الضمير وطالما    |
| في خاطري في كل وقت حاضرا    | فلأنت سري في الفؤاد ولم تنزل |
| باب ينيل الوفد برأ وافرأ    | يا من غدا مأوى الطريد ومن له |
| وسحاب دمي فيك أضحى ماظرا    | أنعم وجد فركاك غاية مقصدي    |
| وزري وكن لي بعد كسرى جابرا  | فامنن عليّ بتوبة أمحو بها    |

أحمده أولاً وآخراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلصه ليس فيها شك ولا مرأ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابعه وجرى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما حدا الحادي إليه وسرى .

[إخواني] اعلموا أن المحبة معنى يدق في الأفكار ، وينفي عن الأسرار ، فهي للخواص نور ، وللعوام نار ، ما علق الحب بقلب امرئ ولا حل إلا تلاشى واضمحل ، فالحب حرفان حاء وباء ، فحأؤه حتف وبأؤه بلاء ، فهو في الحقيقة داء ، يستخرج لذائقه من صفو رائقه دواء وشفاء ، فأوله فناء وآخره بقاء ، وظاهره تعب وعناء ، وباطنه سرور وهناء ، هو لمن جهله شقاء ، ولمن عرفه شفاء ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ : [ فصلت : ٤٤ ] فالناس في المحبة على أنواع وأجناس ، ومحبو الله هم خلاصة الناس . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ : [ البقرة : ١٦٥ ] قال ابن عباس : أثبت وأدوم . وذلك أن المشركين كانوا إذا عبدوا صنماً ورأوا شيئاً أحسن منه تركوا

ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن . وقال عكرمة : أشد حبا لله في الآخرة . وقال قتادة : إن الكافر يعرض على معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى وذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ : [ العنكبوت : ٦٥ ] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ ﴾ : [ الإسراء : ٦٧ ] والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء والرخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه . وقال الحسن : إن الكافرين عبدوا الله واسطة . وذلك قولهم للأصنام : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ : [ الزمر : ٣ ] وقولهم : ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ : [ يونس : ١٨ ] والمؤمنون عبدوا الله تعالى بلا واسطة وذلك قوله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ : [ البقرة : ١٦٥ ] وقيل : لأن المشركين يحبون أندادا كثيرة فحبهم مشترك . وأما المؤمنون فحبهم غير مشترك لأنهم يحبون إلهاً واحداً . وقيل : إن الكفار يتخذون معبودهم مصنوعهم ، والمؤمنون يرون الله تعالى صانع كل مصنوع وخالق كل مخلوق . وقيل : لأنهم أحبوا الأصنام وعابنوها ، والمؤمنون يحبون الله تعالى ولم يعابنوه بل آمنوا بالغيب فلاجل ذلك وعدهم الله بالنظر إليه في الآخرة ، وقيل : إنما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ لأن الله عز وجل أحبهم أولاً ثم أحبه ثانياً ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وأصح ، قال الله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ : [ المائدة : ٥٤ ] .

[ وقال سفيان الثوري ] في قول الله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [ البقرة : ٢٨٦ ] قال : هو الحب ، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « كان داود عليه السلام يقول : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذي يبتغي حبك . اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » .

[ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ] قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب الله تعالى فليحبني ، ومن أحبني فليحب أصحابي ، ومن أحب أصحابي فليحب القرآن ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها فهي ميمونة ميمون أهلها محبوبة محبوب أهلها فهم في صلاتهم والله تعالى في حوائجهم ، وهم في مساجدهم والله تعالى في نجيح مقاصدهم » .

[ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ] قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل « وفي رواية : « قال لجبريل عليه السلام ناد في أهل السماء والأرض أن الله عز وجل يحب فلانا فأحبوه فعند ذلك يلقي حبه في الأرض ويقع في الماء فيشربه البر والفاجر فيحبه البر والفاجر وإذا أبغض الله عبداً أمر الله تعالى جبريل أن ينادي بالعكس من ذلك فيبغضه البر والفاجر » . وفي

هذا الخبر حكاية عن ثابت البناني رحمه الله أنه دخل على خليفة من الخلفاء . فقال له الخليفة : ما كان يدعو صاحبك صالح اليماني رحمه الله في دعائه ؟ فقال ثابت : كان يقول في دعائه : اللهم حبيبي إلى قلوب عبادك ، فقال الخليفة على سبيل الاستخفاف : وهذا كان دعاؤه ؟ فقال ثابت : أتستخف في هذا الدعاء وقد سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل عليه السلام إني أحب فلاناً فأحبه » إلى آخره ، فقال الخليفة : تبت إلى الله تعالى وأنت ، قال ثابت : فرجعت إليه من الغد فقام بين يدي وعانقني وقبل رأسي ، وقال : نبهك الله كما نبهتني ، إني رأيت البارحة في المنام كأني دخلت على رسول الله ﷺ في مسجده ، فقال دم على قولك : اللهم حبيبي إلى قلوب العباد ، فإن أولياء الله لا يحبون عبداً إلا بعد أن يحبه الله ، ثم سلمت عليه وانصرفت .

[ وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله ] يقول في مناجاته : إلهي لست أعجب من حبي لك وأنا عبد حقير ، وإنما أعجب من حبك لي وأنت ملك قدير . وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول في مناجاته : إلهي ليس العجب من عبد ذليل يحب رباً جليلاً ، بل العجب من رب جليل يحب عبداً ذليلاً .

[ وقال بعض العارفين ] : الحب حب يذر في أرض القلوب ويسقي بماء العقول فيثمر على قدر طيب الأرض وصفو الماء ، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً .

[ وعن أنس بن مالك ] عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإسلام : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

[ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ] قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

[ وعن معاذ ] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » .

[ وقيل ] : كانت لعبد الله بن الحسين جارية أعجمية . قال : فكانت ذات ليلة نائمة فرأيتها قامت وتوضأت ، ثم قامت تصلي ، فلما فرغت خرت ساجدة ، وهي تقول : سيدي بحبك لي إلا ما غفرت لي فقلت لها : وبحك لا تقولي هكذا ، ولكن قولي بحبي لك فرمها هو لا يحبك . فقالت لي : يا بطل لولا حبه لي لما أناملك وأوقفني بين يديه ، وبحبه لي أخرجني من دار المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين ، فقلت لها : اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى . قالت : يا

مولاي أسأت إليّ كان لي أجران فصار لي أجر واحد ، ثم صرخت صرخة وقالت : هذا عتق مولاي الأصغر فكيف عتق مولاي الأكبر ، ثم خرّت ميتة . هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بحب رب العالمين :

الحب فيه حلاوة ومرارة      وتنسك وتهتك ببشائر  
ما شاء يصنع بالمحب فإنما      حكم الهوى بيد الحبيب الأمر  
لو كنت أملك في الهوى أمر الذي      أهوى لكان مؤانسي ومسامري  
لكن قيادي في يديه فتارة      يحفو وطوراً حين يحنو زائري

[ قيل ] لبعض المحبين : كيف رأيت المحبة ؟ فقال : وقفت على ساحل بحر زاخر ماله من آخر فقرب مني قارب : « من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً » ، فكبت موافقة له واتباعاً ، فأجابت الروح من دعاها : ﴿ يَسْمُرُ اللَّهُ بِحَبْرَتِهَا وَمُرْسَهَا ﴾ : [ هود : ٤١ ] ، فلما توسطت اللجة توعدت سبل المحبة فما زلت حتى جمعتني في مجمع بحري ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ : [ المائدة : ٥٤ ] فأنا بين البقاء والفناء ، حتى أصل ذلك الفناء :

حروف المحبة مرموزها      يشرنا ببلوغ المنى      فميم الممات وحاء الحياة  
وباء البلاء وهاء الهنا      فلا تطمعن بطيب اللقا      وطول البقا بدون الفنا  
حينما الوصال يحد النصال      فإن تلق سمر القنا تلقنا      فلا تجزعن لمرّ النكال  
وحر الوبال ففيه الهنا      ومت مثل ما مات أهل الهوى      وذابوا اشتياقاً فنالوا المنى

[ وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله ] أنه كان يقول في بعض مناجاته : سيدي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ، ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بجودك وكرمك ، ولئن طالبتني بإساءتي لأطالبنك بإحسانك . ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بأني أحبك ، فنودي أن يا أبا سليمان لا ندخلك النار بل ندخلك الجنة فتخبر أهلها بمحبتنا ، ولا تخبر أهل النار بمحبتنا فإن مكان المحبين الجنة ، ومكان الأعداء النار :

من ألم الهجر إليك الفرار      ياسالبي في الحب طيب القرار      عذب بغير الهجر قلبي تجد  
له على غير جفاك اضطراب      النار مع أنسك لي جنة      وروضة الجنة إن غبت نار  
يهواك طرفي وفؤادي معاً      والروح من هذا وهذا تغار      فإن دخلت النار أخبرتهم  
أني محب لك لكن أغار      عليك أن قالوا محب له      عذابه بين الأعادي جهار

[ إخواني ] المحبة عروس ، مهرها النفوس ، ولها تخضع الرقاب والرؤوس ، فهي تجلى على الأسرار وتصفو بها الأكدار ، فهي للعارف نور وللجاهل نار ، إذا مزجت خمرة المحبة على أهل الصفاء حضرت قلوب أهل الوفاء ، فالذكر ألحانها ، والتوحيد ريجانها ، والشكر ترجمانها

والهيبة سلطانها ؛ فأهل المحبة فتحت لهم أبواب جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال ،  
والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب ، وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب . فالذين  
يتلون الكتاب طوى لهم وحسن مآب . والذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب متكئون  
فيها على الأرائك نعم الثواب .

### [ كان وكان ]

|                   |                       |                    |                 |
|-------------------|-----------------------|--------------------|-----------------|
| ما كل واصل موصل   | ولا العنايد في المناب | هذي سوابق لواحق    | لمن يشا الوهاب  |
| كم قد رأينا عاشق  | صادق وآخر يدعي        | هذا مجالس مؤانس    | وذاك برا الباب  |
| لاتدعي الحب فينا  | وفي فؤادك غيرنا       | نخاف عليك ينادي    | يا مدعي كذاب    |
| لكن إذا شئت فاصبر | على مرارات الشقا      | واخضع إذا شئت تحسب | من جملة الأحباب |

[ وعن يوسف بن الحسين رحمه الله ] قال : سمعت ذا النون المصري يقول : بينا أنا مار في  
شوارع مصر إذ رأيت جارية مسفرة بغير خمار ، فقلت لها : يا جارية أما تستحين أن تمشي بغير  
خمار ؟ فقالت : يا ذا النون وما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار ؟ فقال ذو النون : ومن  
أي شيء علاه الاصفرار ؟ قالت : من محبته ، فقلت : يا جارية عساك تناولت شيئاً من شراب  
القوم . فقالت : اسكت يا بطل شربت بكأس وده وغت مسرورة ، فأصبحت بحب مولاي  
مخمورة . فقلت : يا جارية عسى فائدة أنتفع بها منك أو وصية أرويهها عنك فقالت : يا ذا  
النون عليك بالسكوت حتى يتوهوا أنك مبهوت ، وارض من الله بالقوت يُن لك بيتاً في الجنة  
من ياقوت ، ثم أنشدت :

|                           |                           |                         |
|---------------------------|---------------------------|-------------------------|
| تهنك ولا نخش في الحب عارا | وإياك إياك تبدي استتارا   | وبادر إلى الباب مع فتية |
| لهم في الظلام عيون سهارى  | وإن خفت عند المسير الضلال | فوجه حبيك يهدي الحيارى  |

أيها العارف إذا سرى نسيم المحبة إلى مسام القلوب ، ارتاحت إلى لقاء المحبوب ، فسمعت  
المناجاة في الأسحار لأهل القلوب والأسرار ، فكل أجاب على حسب ما حصل له من  
الأحوال المترجمة على لسان الحال : أيها الحزين علينا كيف وصلت إلينا ؟ قال : ركبت جواد  
توكلي عليه واشتياقي إليه فلما شعرت إلا وأنا بين يديه : أيها الخائف من الفوت كيف رأيت  
الموت ؟ قال : استعذبت التعذيب في رضا الحبيب ، فرأيت فضله سابقاً وجواد عزمي لاحقاً ،  
فكيف لا أرجو أن أنجو وأنا برحمته واثق : أيها الزاهد كيف عهدك بتلك المعاهد ؟ قال :  
سمعتة يقول : في البذل والإنفاق ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يُنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ : [ النحل : ٩٦ ] فتركت ما  
عندي لما عنده وغمضت عيني على الفاني فما فتحتها إلى على الباقي : أيها المحب لنا كيف كان  
اتصالك بنا ؟ قال : وهل كانت إلا شربة شربتها في حضرة : يحبهم . فسكرت بها في خلوة :

ويحبونه . فما أفقت من ذلك المشروب إلا بمشاهدة المحبوب :

لما علمت بأن قلبي فارغ      ممن سواك ملأته بهواك  
وملأت كلي منك حتى لم أدع      مني مكاناً خالياً لسواك  
فالقلب فيك هيامه وغرامه      والنطق لا ينفك عن ذكراك  
والطرف حيث أجيله متلفتاً      في كل شيء يجتلى معنك  
والسمع لا يصغي إلى متكلم      إلا إذا ما حدثوا بجلاك

[ وروي عن الربيع من خيشم رحمه الله ] أنه كان يديم السهر فقالت له ابنته : يا أبت من أفضل خلق الله عز وجل ؟ قال : محمد ﷺ ، قالت : بحرمة محمد نم هذه الليلة ، فقال : يا رب أنت تعلم أن السهر أحب إليّ من النوم ولكن لأجل ما أقسمت ابنتي عليّ بمحمد أنام هذه الليلة فنام فرأى في المنام أن في البصرة أمة يقال لها ميمونة تكون زوجتك في الجنة . فلما أصبح خرج إلى البصرة ، فلما سمع أهل البصرة بقدومه تلقوه ، فلما دخل قال : عندكم امرأة لها ميمونة ؟ قالوا : وما تصنع بميمونة المجنونة هي ترعى الغنم بالنهار وتشتري بأجرها تمرأ فتفرقه على الفقراء وتصعد في الليل على سطح لها أحداً ينام من كثرة البكاء والصياح قال لهم : فما تقول في صياحها ؟ فقالوا : تقول :

عجباً للمحب كيف ينام      كل نوم على المحب حرام

فقال : والله ما هذا كلام المجانين ، دلوني عليها ، فقالوا : هي في البراري ترعى الأغنام فخرج إليها فوجدها قد اتخذت محراباً وهي وتصلّي فيه ورأى الغنم ترعى والذئاب تحرسها فتعجب من ذلك . قال الربيع : فلما فرغت من صلاتها قلت : السلام عليك يا ميمونة قالت : وعليك السلام يا ربيع ، قلت : كيف عرفت اسمي ؟ قالت : سبحان الله الذي عرفني باسمك الذي أخبرك البارحة في المنام أني زوجتك ولكن ليس الموعد ههنا ، الموعد بيننا غداً في الجنة فقلت لها : كيف اجتماع الذئاب بالغنم ؟ فقالت : لما تعلق حبه بقلبي واحتكم ، تركت الدنيا من قلبي فأصلح ما بين الذئاب والغنم ، ثم قالت : يا ربيع أسمعني شيئاً من كلام سيدي فقد اشتاقت نفسي إليه فقرأت : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْلُ ۝ وَالْأَيْلُ الْأَقِيلَا ۝ ﴾ [ المزل : ١-٢ ] وهي تسمع وتبكي وتضطرب إلى أن وصلت إلى الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾ [ المزل : ١٢-١٣ ] فصرخت صرخة فخرت ميتة فتحرّرت في أمرها فجاءت جماعة من النساء فقالت : نحن نغسلها ونجهزها فقلت : من أين عرفتن موتها ؟ قلن : كنا نسمع دعاءها وهي تقول : اللهم لا تمنني إلا بين يدي الربيع . فلما سمعنا بحضورك إليها علمنا أن الله استجاب دعاءها . إخواني إذا أصلح الله أرض قلب قلبها بمحراث الخوف وبذر فيها حب الحب وسقاها

بماء الدمع فأنبئت زرع ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ : [ المائدة : ٥٤ ] سبحوا في بحر حبه وعاموا ولازموا الخدمة على بابه وقاموا وواظبوا على امتثال أوامره وداموا وتولوا فيه فلاجل ذلك سهروا في الليل ولم يناموا فإذا ماتوا من حبه شوقاً إليه لم يلاموا :

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| أهل المحبة بالمحبوب قد شغلوا   | وفي محبته أرواحهم بذلوا        |
| وخرّبوا كل ما ينفي وقد عمروا   | ما كان يبقى فيا حسن الذي عملوا |
| لم تلههم زينة الدنيا وزخرفها   | ولا جناها ولا حلّي ولا حل      |
| هلموا على الكون من وجد ومن طرب | وما استقل بهم ربع ولا طلل      |
| داعي التشوق ناداهم وأقلقهم     | فكيف يهدوا ونار الشوق تشتعل    |
| من أول الليل قد سارت عزائمهم   | وفي خيام حمى المحبوب قد نزلوا  |
| وافت لهم خلع التشريف يحملها    | عرف النسيم الذي من نشره ثملوا  |
| هم الأحبة أدناسهم لأنهمو       | عن خدمة الصمد المحبوب ما غفلوا |
| سبحان من خصهم بالقرب حين قضا   | في حبه وعلى مقصودهم حصلوا      |

[ وقال عبد الله بن الفضل رحمه الله ] : لما توفي يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله رؤي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قيل بماذا ؟ قال : كنت أقول في مناجاتي إلهي إن كنت مقصراً في خدمتك ، فما كنت مقصراً في محبتك .

[ وقال ذو النون المصري رحمه الله ] : سمعت برجل باليمن قد سما على المحبين وفاق على المجتهدين وعرف بالعلم والحكمة فخرجت حاجاً . فلما قضيت نسكي مضيت إليه لأسمع كلامه وأنتفع بموعظته أنا وأناس معي يطلبون مثل ما أطلب ، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين وشعار المحبين ، فخرج الشيخ إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام والكلام ، فصافحه الشيخ ، أقبل عليه ، فقال له الشاب : يا سيدي قد جعلك الله طيباً لأسقام القلوب وبى جرح قد أعيأ الأطباء ، فإن رأيت أن تتلطف بي ببعض مراهك فافعل . فقال الشيخ : عما بدا ذلك فاسأل . فقال : ما علامة الحب لله ؟ قال : أن تنزل نفسك منزلة السقيم ألا تراه يحتمي عن الطعام حذاراً من السقام ، فصاح الفتى صيحة ظننا روحه قد خرجت فلما أفاق قال : يرحمك الله فما علامة المحبين ؟ قال : إن درجة المحبين رفيعة ، فقال : صفها لي ، فقال : إن المحبين لله تعالى نظروا إلى نور جلال الله فصارت أبدانهم روحانية وعقولهم سماوية تسرح تسرح بين صفوف الملائكة بالعيان ، وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبوده بمبلغ استطاعتهم لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره . قال : فشهِق الفتى شهقة خرجت فيها روحه فعجل الشيخ بيكي ويقبله ويقول : هذا والله مصرع الخائفين ، وهذه درجة المحبين :

يا مالك القلب رقا رفقاً بعبدك رفقاً قد لذ فيك وجدي فليست بالوجد أشقى  
 فلا أرى للتشكي بما أنا منك ألقى فإن أمت فسروري بأن أموت وتبقى  
 [ وعن الحسن البصري ] قال : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : أن يا داود أحبني وأحب من  
 يحبني وحبيبي إلى عبادي . فقال : يا رب أحبك وأحب من يحبك فكيف أحبيك إلى عبادك ؟  
 قال : ذكرهم آلائي ونعمائي فإنهم لم يعرفوا مني إلا الحسن الجميل :

يا من له فضل عليّ جميل هل لي إليك إذا اعتذرت قبول  
 فأنا المقرّ بسوء فعلي سيدي وبحسن ظني عندك المقبول

[ وقيل ] : إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام : إنك لي خليل ، وأنا لك خليل فاحذر  
 أن أطلع على قلبك فأجده مشتغلاً بغيري فأقطع حبك مني فلاني إنما أختار الحبي من لو أحرقت  
 بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري ، فإذا كان لي كذلك أسكنت محبتي في قلبه فتواترت  
 عليه ألطافي فقربته مني ووهبت له محبتي فأني نعيم يعدل ذلك عندي وأي شرف أشرف منه  
 عندي فوعزتي وجلالي لأشفين صدره من النظر إليّ وذلك أني محب لمن أحبني .

[ لإخواني ] إذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة ؟  
 يا جبريل أنم فلاناً وأقم فلاناً ، فالمحب بين يدي محبوبه قائم ، ولخدمته ملازم ، وفي حبه هائم  
 فما عليه من عتب العاذل واللائم :

|                           |                          |                        |
|---------------------------|--------------------------|------------------------|
| يا عاذل القلب في صابته    | ولائم الصب في تصاييه     | اترك ملامي وصدّ عن علي |
| فالحب معنى ولست تدريه     | وفي ضميري من لا أبوح به  | وفي فؤادي من لا أسميه  |
| قد أدهش الطرف في محاسنه   | وحير القلب في معانيه     | محجب والقلوب تشهده     |
| مغيّب والغرام يديده       | ووجهه حيث قمت واجهني     | لا شيء يخفيه أو يواريه |
| إن قلت يا بغيتي ويا أملتي | يقول ليك في تعاليه       | ها أنا دان إليك مقترب  |
| فخذ من الوصل صرف صافيه    | واغنم زمان الرضا فما أحد | يدري الذي في غد يلاقيه |

[ وقال أبو حيان رحمه الله ] : حضرت مجلس ذي النون رحمه الله في فلاة مصر فحسبت من  
 حضر فكان عددهم سبعين ألفاً ، فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم ، فمات  
 في مجلسه أحدهم عشر نفساً ، وماج الناس في الصراخ والبكاء ووقع إلى الأرض خلق كثير  
 مغشي عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار ، فناداه بعض مريديه : يا أبا الفيض أحرقت قلوب بذكر  
 محبة الخالق وأورثتها الأحزان والنيران ، فلو بردت القلوب بذكر محبة المخلوقين ، فتأوه ذو  
 النون تأوهاً شديداً وشق قميصه نصفين وقال : آه ثم أواه علققت قلوبهم واستعبرت عيونهم ،  
 وحالفوا السهاد وخالفوا الرقاد ، فليلهم طويل ونومهم قليل ، أحزانهم لا تنفد وهمومهم لا  
 تفقد ، أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة ، باكية عيونهم قريحة جفونهم ، قد عاداهم الزمان

وجفاهم الأهل والجيران ، قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفا من الكدر مشروبهم ، لا جرم أنهم  
بشروا في الهنا وبلوغ المنى :

فلله قوم أخلصوا لحبيهم      فأوسعهم فضلاً وأتحفهم منا  
هنيئاً لهم لما تملوا بحبه      وفازوا من الرضوان بالمنزل الأسنى  
وذو العرش في فردوسه يستزيدهم      فيا حبذى المولى ويا حبذى المعنى  
يقول عبادي هل رضيتم بنعمتي      فها أنا منكم قاب قوسين أو أدنى  
تملوا بوجهي وانظروا ما منحتكم      فمن نال مني نظرة فقد استغنى

[إخواني] للمحبة رجال ، ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال ، فما في الحب عضو ولا  
جارحة إلا وعليه شواهد المحبة لائحة فالألسن قد شغلها أنيس ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ : [ البقرة :  
١٥٢ ] والأسماع منصتة لاستماع كلام الحبيب بألحان ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ :  
[ البقرة : ١٥٨ ] والأبصار شاخصة لانتظار ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٥٩﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ : [ القيامة :  
٢٢-٢٣ ] والأبدان قائمة بوظيفة ﴿ إِنَّا كَنَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ : [ الفاتحة : ٥ ] ، والقلوب  
مرتبطة برابطة ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ : [ المائدة : ٥٤ ] ، والأسرار مستغرقة في مشاهدة حضرة  
﴿ وَشَاهِدُوا مَسْهُورٌ ﴾ : [ البروج : ٣ ] ، والأرواح ترتاح لأذكار ﴿ فَرُوحٌ وَرَّيْحَانٌ ﴾ : [ الواقعة :  
٨٩ ] فما للعارف غفلة عن مشهوده ، ولا للعابد غفلة عن معبوده :

لما علمت بأن قلبي فارغ      ممن سواك ملأته بهواك  
وملأت كلي منك حتى لم أدع      مني مكاناً خالياً لسواك

قال ذو النون : رأيت فتى ظاهره الجنون ، وباطنه الفنون ، فعلمت أنه بحب مولاه مفتون ،  
فسمعتة يبكي ويقول في مناجاته : مولاي قرّبت المحبين وطردتني فما ذنبي ، وخصصتهم  
بالوصال منك وهجرتني فواكربي . أيقظتهم للقيام بين يديك وأثمنتني فواندامي ، لذتهم في  
السحر بمناجاتك وما لذتني فوالألمي ، ثم أخذ في البكاء . قال ذو النون : فحرك مني ما كان  
ساكناً ، وهيج من شوقي ما كان كامناً ، فقلت له : يا فتى ما هذا البكاء ؟ فقال : يا ذا النون  
أخبرني سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب بماذا يزول ؟ فقلت : والله أنا في طلب  
ما أنت فيه ، وما وقت منه إلا في الحيرة والتيه :

رأى سوادي فقلت ويلني      أشد منه سواد قلبي      طلبت منه لذاك غسلا  
فقال لي ليس ذا بصعب      كذاك قلبي به سواد      فازددت كرباً لعظم كربى

[إخواني] إذا سكنت المحبة في قلوب أنارت بأنوار المحبوب فأثرت وأثمرت في القلب سبعة

أشياء لا يتم مصباح معرفة الرب إلا بها : إخلاص النية لله ، والخوف من الله ، ورجاء ثواب الله ، والصدق مع الله ، والتوكل على الله ، وحسن الظن بالله ، والشوق إلى الله ، فهذه السبعة لا يتم مصباح معرفة ربك إلا بها : كما أن المصباح لا يوقد إلا بسبعة أشياء لا بدّ منها : الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذا الأشياء لا سبيل إلى إيقاد المصباح ، فإن أردت يا هذا إيقاد مصباح قلبك لمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الأشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الفكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع إلى ربك فعند ذلك يتوقد نوره في قلبك ، فتشاهد جمال ربك :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| كشف الحجاب وزالت الأستار   | وصفا العتاب وطابت الأسمار |
| وأتى النسيم مبشراً ومغرباً | فصفا النعيم وزالت الأكدار |
| وروت حديثاً عن شذاك معطراً | فصفت بلطف صفاتك الأسرار   |
| شهدت معانيك القلوب بصفوها  | فتحيرت في حسنك الأفكار    |
| وتوهلت أهل الهوى وتحيروا   | مذ شاهدوك وكيف لا يحتاروا |

[ وحكي ] عن محمد بن أحمد المفيد قال : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : كنت نائماً عند سريّ رحمه الله فأيقظني وقال : يا جنيد رأيت كأنني وقفت بيدي الله عزّ وجل ، وقال لي : يا سريّ خلقت الخلق وكلهم ادّعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي العشر ، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار وبقي معي عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقيين : لا الدنيا أردتم ، ولا للجنة طلبتم ، ولا من البلاء هربتم فما الذي تريدون وما الذي تطلبون ؟ قالوا : أنت المراد ، لو قطعنا في البلاء لم نخل عن المحبة والوداد فقلت لهم : إني مسلط عليكم من البلاء والأحوال ما لا تقوم بحمله الجبال أتصبرون على البلاء ؟ قالوا : بلى . إذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ما شئت بنا ، فهؤلاء عبادي حقاً وأحبائي صدقاً :

|                           |                        |                         |
|---------------------------|------------------------|-------------------------|
| بما شئتموا في الهوى عذبوا | فتعذيبكم عندنا يعذب    | ومهما أردتم بنا فافعلوا |
| وفينا فدونكما جربوا       | فمن كان فينا محباً لكم | فقد فاز منكم بما يطلب   |

[ إخواني ] البلاء موكل بالمحبين قد أضنى منهم الأجساد وتمكن من القلوب لا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى المحبوب . قال إبراهيم الخواص : كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالإخلاص وكان يزورني في بعض الليالي وكان صائم الدهر فبات عندي ليلة فقدمت له العشاء ليفطر عليه فلم يفطر إلا على الماء ، فلما صلى العشاء الأخيرة تحزم وقام يصلي إلى وقت السحر فسمعتة يقول في مناجاته : سيدي إن تعذبي فإني لك محب وإن ترحمني فإني لك محب ،

ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق قلت له : يا عتبة كيف كانت ليلتك ؟ فصرخ صرخة ثم قال : يا إبراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسيين ، قطع أوصال المحيين ، ثم غشي عليه ، فلما أفاق رفع رأسه وقال : يا سيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران ، أو تبثلي قلبه بالهجران ، فسمع هاتفاً يقول : حاشى أن يعذب من أحبه واجتبه واصطفاه :

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| في وصف حبك ما يغني عن العذل    | وفي حديثك ما يلهي عن الغزل     |
| ملكك فاحكم فكل منك محتمل       | الأمر أمرك ليس الأمر من قبلي   |
| وحق حبك ما قلبي بمنقلب         | إلى سواك ولا حسي بمرتحل        |
| ولو سفكت دمي عمداً بلا سبب     | لكان أهنأ من الإغفاء للمقل     |
| أنا الذي ما لقلبي عنك من عوض   | كلا ولا لولائي فيك من بدل      |
| من خان عهدك أو ألقى على بدل    | واضيعة العمر بل يا خيبة الأمل  |
| من لي سواك إذا أدرجت في كنفي   | ومن أنيسي إذا أفردت عن خولي    |
| ما لي سوى حسن ظني عند منقلبي   | فلا تلمني على المنقوص من عملي  |
| ولي شفيع إذا حان اللقاء غداً   | هو المشفع في جرمي وفي زللي     |
| خير الوري نسباً أزكاهموا حسباً | أصفاهموا عرباً في السهل والجبل |
| أقواهموا سبباً أوفاهموا أدباً  | أعلاهموا رتباً في العلم والعمل |
| بحقه يا إلهي جد بمغفرة         | على عبيد غدا بالذنب في خجل     |
| واسمح له منك يوماً بالمسير إلى | جنبه الرحب من قبل انقضاء الأجل |
| يا رب بالمصطفى المختار من مضر  | اغفر لنا سائر الزلات والخطل    |
| يا رب بالمصطفى خير الأنام ومن  | له الشفاعة أنقذنا من الوجمل    |
| يا رب شفعه فينا يوم تبعثنا     | فنحن من خوفنا في غاية الخجل    |
| يا رب اغفر لنا كل الذنوب به    | وامن وسامح فهذا غاية الأمل     |
| يا رب بلغه عنا أننا أبدأ       | نحبه بدليل في الأنام جلي       |
| يا رب صلّ عليه كلما طلعت       | شمس النهار وما لاحت على جبل    |

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## الجلس السادس والأربعون

## في وفاة النبي ﷺ

الحمد لله الذي حير أرباب العقول بالذهول عن الوصول إلى تحقيق تدقيق معرفته وأغرق سفن الأفهام في تيار بحار الاستفهام عن دوام سرمديته ، وقص أجنحة أطيار الأفكار عن المطار إلى أوكار معرفة صمديته ، وهدم أساس مقياس الحواس بفأس الإياس فلا سبيل إلى قياس تحديد صفاته وقدرته ، وأوقع أطيار الأذهان في شبك معرفة ذاته فعجزت الأفلاك والأملأك عن إدراك أحديته ، وحجب العقول عن الوصول إلى حصول سرّ فرديته ، فهو الأول الذي لا أول لأوليته ، الآخر الذي لا آخر لآخريته ، الظاهر بالدليل لأهل ودّه ومحبته ، الباطن الذي لا يكفيه الخاطر بفكرته ، السميع الذي يسمع أنين الجنين تحت غشاء الحشا وأعطيته ، البصير الذي يبصر أثر ديبب النمل على الصخر إذا أخفاه الليل بسواده وظلمته ، العليم بما يخفيه العبد في سريره ، الجبار الذي خضع كل متجبر لعظيم هيئته ، القهار الذي قهر كل متكبر بسلطان سطوته ، تقدسه الكائنات وتمجده جميع المخلوقات ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته :

تعالى المهيمن في عزته وجلّ عن النقص في قدرته      إلّاه تعزز في ملكه  
فكل الخلائق في قبضته      تفرد في ملكه بالبقا      وحذرهم من سطا نغمته

له الخلق والأمر سبحانه      فكل يخافون من سطوته

فيا أيها السالك إلى المطلب الأعلى كم في الطريق من مهالك صعبة المسالك ، فإن حصلت بتوفيقه هنالك فزت بوصالك ونلت غاية آمالك وشهدت جمالاً لا يتمثل في خيالك ، وسمعت جواباً لا يخطر ببالك وشربت شراباً يرويك ويغنيك عن أهلك ومالك ، وإن أردت الوصول إليه بقياسك ومثالك تقطعت أوصالك دون وصالك وحظيت بخيبتك ونكالك ، فاقصر عن كشفك وسؤالك واكفف عن بحثك وجدالك ، واعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك :

طريق الحب كم فيها مهالك وما فيها لباغي الوصول سالك      فإن رمت النجاة سلمت حقاً  
وإلا كنت يا مغرور هالك      وإن وجدت حزت طريق وصل      فيا بشراك إذ تمشي هنالك

مطالب وصله جلّت وعزت      فكم فيها لطالبها مهالك

كم سارت قفول العقول ، إلى بيداء معرفة ذاته فناهت ولم تحصل على الوصول ، كم قصدت الأبواب الدخول ، في هذا الباب وهو لا يزال مقفول ، كم بعث العقل من رسول ، فرجع

وهو بالحيرة مفصول فالعقل واقف على الباب لا يحول ، والفكر ملازم لهذا الجنب لا يزول ، والفهم حائر في إدراك الصمدية لا يفارقه الذهول ، وحير العقول فلا يعرف بالمعقول ، وأذهل الأذهان فلا يدرك بالمنقول :

تحيرت البصائر والعقول      فما يدري المحدث ما يقول  
تجنب عزة وعلا اقتدارا      وجلّ فلا يصاب له مثل  
فسبحانه من إله كيف الكيف وتنزه عن الكيفية ، وأين الأين عن الأينية ، أول كل شيء وليس له أولية ، وآخر كل شيء وليس له أخرية ، لا يقاس بمثل ولا يوصف بجوهريّة ، ولا يعرف بجسمية خلق الشر وقضاه ، وخلق الخير وارتضاه ، ورحم من أطاعه وعذب من عصاه ، ولا يسأل عن قضية . لا يحتجب عن أحبابه ، ولا يحجبهم بحجابه ، وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية ﴿ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴾ : [ الفجر ٢٧-٢٨ ] .

ألف الوصل ألفت كل قلب      لحبيب صفاته أزليه      وبياء البقاء أفنى نفوسا  
لم يدع جبه لهما من بقية      ثم تمت له بقاء التعالي      كل ما شاء من أمور عليه

قسماً صادقاً ببياء يقيني      ليس لي في سواه ما عشت نيه  
فسبحان ذي الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، وهو الحي الذي لا يموت ، يعلم خفيات السرائر ، وحركات الخواطر ، واختلاج الضمائر ، أغرق العقول في معرفته ببحر زاخر ، ليس له أول ولا آخر ، سار بريد الأفكار ، فانقطع وحرار في فريق معرفته فهو أبداً سائر ، جاء جاسوس الحس ليدرك بعض صفاته فناداه القدر إلى أين يا حائر ، الأبواب مردودة والطريق مسدودة ، ليس إلى إدراكه سبيل ، وليس له شبيه ولا مثل ، بحر لا يتمكن منه غواص لاستخراج الجوهر ، وليل لا يتبين للعين فيه كوكب زاهر :

تحيرت في أمور الوصول إليكم      وهددني التعجيز من كل جانب  
عدت وما أدركت ما كنت أبتغي      وما نلت مما أرتجيه مآربي

فسبحان من كَوّن الأكوان ، ودبر الزمان ، وخلق الإنسان وعلمه البيان ، وأنزل القرآن ، وقدر الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان ، لا يمر عليه النسيان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، لا تغيره الدهور ، ولا تختلف عليه تصاريف الأمور ، مقدر المقدور ، ومالك يوم النشور ، له المثل الأعلى وله الأسماء الحسنى والصفات العليا ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ : [ الفرقان : ٥٩ ] ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ : [ طه : ٥ ] لا تبليه الأعصار ، ولا ينهيه المقدار ، ولا تحويه لأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، ﴿ يُكْوَرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ : [ الزمر : ٥ ] ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ

عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿ : [الرعد : ٨] ذاته لا كالذوات وصفاته لا كالصفات ، رفيع الدرجات يميت الأحياء ، ومحبي الأموات ، لا تشبه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، لا يقاس بقياس الحواس ، ولا يأخذه نوم ولا نعاس ، الأولياء في حذر من مكره ، والملائكة من خيفته لا يفترون عن ذكره ، والإنس والجن في دائرة قهره ، والجنة والنار تحت نبيه وأمره ، لا يصفه الواصفون ، ولا تكفيه الظنون ، ولا يلحقه المنون ولا تراه العيون ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ، فالخلائق في قبضة إرادته محصورون ، خلقهم وما يعملون وهو يعلم بما يفعلون ﴿ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ : [الأنبياء : ٢٣] .

عز فليس تراه العيون وجل فلا يعتريه المنون تفرد في ملكه بالبقا  
وكل الورى بالفنا ذاهبون ويفعل في خلقه ما يشا بغير اعتراض وهم يسألون

فسبحان من وعر طرائق الحقائق ، إلى معرفة ذاته فوق السالكين في التيه ، وحير إدراك الخلائق ، فحارت الخلائق فيه ، فأوقدوا مصابيح العرفان ، بأدهان الأذهان ، واستدلوا بنور برق الإيمان ﴿ كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَآؤُفِيهِ ﴾ : [البقرة : ٢٠] فانقلبوا إلى القلوب . فقالت : إنما نحن بيوت التنزيه ، وصاحب البيت أدري بالذي فيه ، فتعلقوا بالصفات ، فقالت : لا نطبق نبديه ، فأشاروا إلى العقل فناداهم من سكرة تغاشيه ، وحيرة تلاشيه ، أنا مثلكم متحير فيه ؛ لست بالمدرک له فأحكيه ، ولا بالواصف له فأصفيه وأسميه ، ولا أعرف من أي جهة آتية فقد سألتكم عن أمر لا أدريه ، وكشفتكم عن سر ما برحت أستمليه وأستقره ، فما وقفت منه إلا على الحيرة والتولية ، ولكن أيها الكتيب المتحير فيه السليب في حسن معانيه ، إن أردت معرفته فاسلك طريق التوفيق به بغير تمويه فهو القريب الذي متى شئت تلاقيه ، البعد الذي لا بالمسافة توافيه ، فإن صافيته سقاك من كأس صفوة صافية ، وإن شربت بكأس محبته فالكأس هو ساقيه ، وإن أردت أن تسمع ألحان ذكره ومثانيه ، فقل بلسان التوحيد والتنزيه ، وإياك إياك والتشبيه :

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| تبارك الله في علياء عزته     | وجل معنى فليس الوهم يحويه |
| وجوده سابق لا شيء يشبهه      | ولا شريك له لا شك لي فيه  |
| لا كون يحصره لا عون ينصره    | لا كشف يظهره لا جهر يبديه |
| لا دهر يخلقه لا نقص يلحقه    | لا نقل يسبقه لا عقل يدره  |
| حارت جميع الورى في كنه قدرته | وليس تدرك معنى من معانيه  |
| سبحانه وتعالى في جلالته      | وجل لطفاً وعز في تعاليه   |

فسبحان من إلّه خلق آدم بيد قدرته ، وأسجد له جميع ملائكته ، وأسكنه فسيح جنته ، ثم

حكم عليه بالموت وعلى ذريته ، وقال لنبيه ﷺ يخبره بقضيته : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ : [ الأنبياء : ٣٥ ] فأبلغ في تسليته ، ونجى نوحاً من الطوفان ، وأغرق أهل مخالفته صيانة لأهل الإيمان ، وقضى عليه بالموت المكتوب على الإنس والجان ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ : [ الرحمن : ٢٦ ] واتخذ إبراهيم خليلاً ووفقه وسدده ، وأراه ملكوت السموات والأرض وأشهده ، وفوق إليه سهام الموت المرصدة ، وقال لنبيه محمد ﷺ إذ أعلمه بحاله وأيده ﴿ آتِنَا تَكُونُوا يَذَرِكُمْ أَلْمُوتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ : [ النساء : ٧٨ ] واختار موسى نجياً وأسمعه كلامه وبلغه من لذيذ خطابه قصده ومرامه ، وأنقذ فيه من الموت سهامه ، وقال لنبيه محمد ﷺ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَةِ ﴾ : [ آل عمران : ١٨٥ ] وخلق عيسى من غير أب بلا شك ولا عي فأبرأ الأكمة والأبرص بإذنه وأعاد الميت في قبره وهو حي ، وقال لنبيه ﷺ إخباراً عن عيسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ : [ آل عمران : ٥٥ ] واصطفى محمداً ﷺ النبي العربي الأمين المأمون ، صاحب الجاه العريض والعرض المصون ، ومع هذا القرب والمنزلة التي لا يصل إليها الواصلون ، نعى إليه نفسه الكريمة ، وأنذره برب المنون ، وسلاه بمن مات قبله من الأنبياء والمرسلين ، فقال في كتابه المكنون : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ : [ الزمر : ٣٠ ]

|                                |                          |                           |
|--------------------------------|--------------------------|---------------------------|
| لما نعي المختار خير الوري      | من بعده كل مصاب يهون     | ما زلت أبكي بعده حسرة     |
| حتى جرت من جفون عيني عيون      | وقلت لما أن قضى نحبه     | يا ليتني لاقيت ريب المنون |
| لا تطمعي من بعده بالبقا        | يا نفس هذا أبداً لا يكون | أبعد موت المصطفى خالد     |
| أما في البقا نطمع أم في السكون | صلى عليه الله ما غردت    | حمام الأيك وأبدت شجون     |

[روي عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال : ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وكانت مدة مرضه اثني عشر يوماً . وكان مرضه بالصداع . وقال ابن أبي يزيد عليه السلام : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار لإحدى عشرة سنة مضت من الهجرة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل على النبي ﷺ سورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ : [ النصر : ١ ] إلى آخرها قال رسول الله ﷺ : « نعت إلي نفسي » فأقبل إلى منزل عائشة رضي الله عنها والحمى عليه . قال بلال : فلما أصبحت أتيت إلى حجرة رسول الله ﷺ فناديت :

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة الصلاة جامعة ، فقال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : مري بلالاً يقرئ أبا بكر السلام ويقول له يصلي بالناس ، قال بلال : فرجعت باكياً وأنا أطوف في أزقة المدينة وأنادي : واسيداه وانبياه واسوء منقلبه ليت بلالاً لم تلده أمه . قال : ثم أتيت المسجد فوجدته غاصاً بالناس فلقيت أبا بكر فبلغته السلام والرسالة ، ثم ناديت : الصلاة رحمكم الله فأقمت الصلاة فلما قلت : الله أكبر الله أكبر ، قال المسلمون : كبرناه تكبيراً وعظمناه تعظيماً . فلما قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال المسلمون : شهدنا بها مع كل شاهد ، فلما قلت : أشهد أن محمداً رسول الله غلبنى البكاء فبكيت فبكى وبكى الناس . فتقدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأم بالناس فلما قرأ : ﴿ يٰۤاَيُّهَا ٱللَّهُ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعٰلَمِينَ ﴾ [ الفاتحة : ٢-١ ] ونظر إلى موقع أقدام رسول الله ﷺ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس فلما سمع النبي ﷺ ضجة الناس ، قال لفاطمة : ما هذه الضجة التي في المسجد ؟ قالت : إن المسلمين فقدوك وقت الصلاة فرفع النبي ﷺ رأسه وقال : اللهم مر ملك الحمى أن يخفف على نبيك حتى أخرج وأصلي بالناس وأودع أصحابي قبل فراق الدنيا . قال : فوجد النبي ﷺ خفة في بدنه فتوضأ وخرج متوكئاً على الفضل بن العباس وأسامة بن زيد وعلي رضي الله عنهم . فلما رأى المسلمون أنوار النبي ﷺ تخرق في المسجد وأحسوا بمجيئه جعلوا ينفرجون صفاً صفاً والنبي ﷺ يخرق الصفوف حتى وصل إلى محرابه فوقف بإزاء أبي بكر الصديق فصلى بالناس ، فلما فرغ رقى المنبر يخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أقبل على الناس بوجهه الكريم كالمودع لهم . فقال : أيها الناس ألم أبلغكم الرسالة وأود لكم الأمانة والنصيحة ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا ما جزي به نبياً عن أمته ، ثم نزل فودع أصحابه وصافحهم وهم ييكون ، ثم أقبل إلى منزل عائشة ، ولم يزل متمزحاً حتى أتى إليه ملك الموت في زي رجل أعرابي فوقف بباب حجرة رسول الله ﷺ ثم نادى : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أتأذنون لي في الدخول على الرسول ؟ فقالت فاطمة يا أعرابي إن نبي الله بنفسه عنك مشغول ، ثم نادى الثانية فرمق النبي ﷺ الباب فنظر إلى ملك الموت فقال لفاطمة : أتدريين من يخاطبك ؟ قالت : يا أبت رجل أعرابي ، فقال : هذا ملك الموت هذا هاذم اللذات ائذني له فدخل فسلم ، وقال : يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك ؟ فقال : اكفف حتى يأتيني جبريل فهذه ساعته . قالت عائشة رضي الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا له جواب وكأنا ضربنا بصاخرة ولم يتكلم أحد من البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا . قالت : فجاء

جبريل فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ، وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً . فقال : يا جبريل إن ملك الموت استأذن عليّ ، وأخبره الخبر . فقال : جبريل : يا محمد إن ربك إليك مشتاق ، أما أعلمك ملك الموت بالذي يريد منك ؟ والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط إلا أن الله متم شرفك ، فقال النبي ﷺ : لا تبرح إذا حتى يجيء ، وأذن للنساء ، ثم قال : ادني مني يا فاطمة فأكبت عليه فناجها طويلاً رفعت رأسها وعيناها تدمعان وما تطيق الكلام ، ثم قال : ادني مني رأسك فأكبت عليه فناجها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجباً فسألناها بعد ذلك ، فقالت : قال لي : إني ميت اليوم فبكيت ، ثم قال دعوت الله تعالى أن يلحقك بي أول أهلي وأن يجعلك معي فأضحكني . قالت : ثم جاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له ، فقال الملك : ما تأمرني به يا محمد . قال : ألحقني بربي الآن . قال : بلى من يومك هذا ، ولكن ساعتك أمامك ، ثم خرج وخرج جبريل . فقال : يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض قد طوي الوحي ، وطويت الدنيا ، وما كانت لي في الدنيا حاجة غيرك ولا لي فيها حاجة إلا مودتك . قالت عائشة : فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يجيب في ذلك في بكلمة ، ولا يعث إلى أحد من رجاله لعظم ما سمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا . قالت : فقمتم إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين يدي ، وأمسك ب صدره فجعل يغمى عليه حتى يغلب ، وجهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط فجعلت أرسل ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق : بأبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي ما تلقيه جبهتك من الرشح ، فقال : يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ، ونفس الكافر تخرج من شدة كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخيه بعثه إليّ أبي فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد ، وإنما صدّهم الله عنه لأنه ولي أمره جبريل وميكائيل وإسرافيل فكان النبي ﷺ إذا أغمي عليه قال : الرفيق الأعلى . قالت عائشة رضي الله عنها : وكان قد دخل عليّ أخي عبد الرحمن ويده سواك فجعل النبي ﷺ ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت : أخذه لك ؟ فأوماً إليّ برأسه أن نعم فناوله إياه فأدخله في فيه فاشتدّ عليه فقلت : أليته لك ؟ فأوماً برأسه أن نعم فليتته له ، وكان بين يدي ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : لا إلَه إلا الله إن للموت لسكرات ، ثم نصبت يده وهو يقول : اللهم الرفيق الأعلى ، قالت : حتى قضى نحبه ﷺ . قالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله ﷺ في بيتي ، وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقِي وريقه عند الموت ، فكان أول من أعلم الناس بموته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو أول من دخل عليه ،

وهو مسجى ببردة يمنية فكشف عن وجهه وقبله ، وقال وهو يبكي : بأبي وأمي أنت يا رسول الله طيب حياً ، وطيب ميتاً ، أما الموتة التي كتبها الله عليك فقدمتها فجزاك الله عن نصيحتك للإسلام خيراً ، ثم خرج إلى الناس فأخبرهم بوفاته . قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته : من لأمتي من بعدي ؟ فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذه في أمته وبشره أنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . فقال : الآن قرّرت عيني ، وطاب قلبي . ودخل عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : سل يا أبا بكر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله دنا الأجل ؟ قال : قد دنا وتدلّى ، فقال : ليهنك يا نبي الله ما أعد الله لك فليت شعري أين منقلبنا ؟ فقال : إلى الله تعالى ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى والرفيق الأعلى والعيش الأهنى ، والحدّ الأوفى . فقال : يا نبي الله من يلي غسلك ؟ قال : رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى ، قال : ففيم نكفئك ؟ قال : في ثيابي هذه ، وفي حلة يمنية ، وفي بياض مصر . قال : كيف الصلاة عليك ؟ ثم بكى وبكى ، ثم قال : مهلاً غفر الله لكم ، وجزاكم الله عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي عليّ الله عزّ وجل ، وهو قوله ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ : [ الأحزاب : ٤٣ ] ثم يأذن للملائكة في الصلاة عليّ . فأول من يدخل عليّ من خلق الله تعالى ويصلي عليّ جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم عزرائيل مع جنود كثيرة من الملائكة ، ثم أنتم فادخلوا عليّ أفواجاً أفواجاً وزمراً زمراً وسلموا تسليماً ، ولا تؤذوني بصيحة ولا ضجة ولا رنة ، وليبدأ منكم بالصلاة الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان . قال : فمن يدخل القبر ؟ قال : أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم ثم قوموا فأدّوا عني السلام إلى من بعدي من أمتي . ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الناس في المسجد وضجوا بالبكاء والنحيب ، وأظلمت الدنيا ونادى بلال : وانياء ، ونادت فاطمة : وأبّته ، ونادى الحسن والحسين : واجداه ، ونادى كل المسلمين : واحزنه ، وأول من بكاه ورثاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولسان حاله يقول :

بعد شرب المصطفى كأس الحمام  
وجفوني بالبكا سحت دوام  
جنة الخلد له أعلى مقام

كيف تلتذ جفوني بالنام  
أم لقلبي راحة من بعده  
إن يكن غاب عن الدنيا ففي

لكن المقدور حتم لازم  
ليس في لدنيا بكاء لامرئ  
أحمد الهادي الشفيح المرتضى  
فعليه الله صلى كلما  
مالنا من بأسه من اعتصام  
بعد موت المصطفى خير الأنام  
في البرايا سيد الرسل الكرام  
بكت السحب بأجفان الغمام

وبكاه عمر الخطاب ورثاه ، وقال بلسان حاله وجواه :

ليس البكاء إن أطيل بمقنعي  
يا للرجال بحادث لم يحتسب  
تالله ما جار الزمان ولا اعتدى  
خطب يبرح بالخطوب وفاح  
فقد الرسول فأظلمت كل الدنا  
مازال بالمعروف فينا آمراً  
صلى عليه الله جلّ جلاله  
الخطوب أعظم قيمة من أدمعي  
ولنازل ما كان بالمتوقع  
بأشدّ من هذا المصاب وأوجع  
من لم يكن جزعاً له لم يجزع  
والحزن عمّ لكل قلب موجه  
يهدي الأنام بنوره المتشعشع  
ما لاح نور في البروق اللمع

ورثاه عثمان بن عفان ؓ ، وزاد في البكاء وأطال وناداه بلسان حاله وقال :

ويحك يا نفس البدار البدار  
ما هذه الدنيا لحيّ بدار  
من تاه عزاً ثوب ذلّ وعار  
أيطمننّ المرء في منزل  
قد نفذ العمر وقلّ البقا  
إلى متى يا نفس ذا الاغترار  
وليس في الدنيا لحيّ قرار  
صلى عليه الله ما أشرقت  
كواكب الصبح وناح الهزار

ورثاه عليّ بن أبي طالب ؓ وبكى بالدمع الهمول ، ونادى بلسان حاله يقول :

لو جرى الدمع على قدر المصاب  
ولو أن الدمع يشفي من بكا  
يا صروف الدهر قد كان الذي  
لم أزل أحسب ما أخلده  
مات خير الخلق من قد خصه  
كل حيّ ذائق كأس الفنا  
أيها الناس لكم بالمصطفى  
فثقوا بالله وارضوا وخذوا  
واعلموا أن النبي المصطفى  
فعليه الله صلى دائماً  
شابهت أجفاننا سح السحاب  
لم نزل بين رحاب الانتحاب  
كنت أخشى من عواديك الصعاب  
فأتى الدهر بما لا في حساب  
ربه بالصحب من خير صحاب  
هكذا المسطور في أم الكتاب  
أسوة فالموت يدني الذهاب  
ما قضى الله بصبر واحتساب  
ذخرنا الشافع في يوم المآب  
كلما أمطر قطر من السحاب

[إخواني] كيف يطمع بالبقاء في هذه الدار ، وقد فقد النبي المختار ، فالأحشاء عليه محترقة والأجفان بالدمع غارقة ، والصبر زائل والدمع سائل ، مصابه هون جميع المصائب ، وفقده نغص عيش الحباب ، وفرض عقد الدموع وشب النار بين الضلوع ، وأذاب الدموع الجامدة وأثار الهموم الخامدة ، فيا أيها الحزين أنطمع في البقاء بعد سيد المرسلين ؟ أمالك عبرة فيمن قرضتهم الشهور والدهور ، في الماضي من السنين ، أما لك فكرة فيمن صرع قبلك من الأنام ، من شيخ وكهل وشاب وطفل وجنين ، أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشقيق ، وخليل وقرين ، إلى متى تلتفت إلى العلائق ، كأنك ما أنت من الموت على يقين أغرّتك المهلة أم جاد الزمان لك ييقن بالله عليك اقبل نصحي ، قبل أن يعرق منك الجين ، ويشدّ نزعك والأنين ، يبكي عليك بماء الدمع المعين ، وتحصل في قبر مظلم لا يظهر فيه النور ولا بين ، ويبقى فيه كل امرئ بما كسب رهين أما سمعت آيات الله المينة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ : [الأحزاب : ٢١] ، أما أنذك ما جاء في القرآن : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ : [الرحمن : ٢٦] ، أما وعظك الدهر ، وأسمعك الصوت : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ : [آل عمران : ١٨٥] فإذا كان قد مات صاحب المقام المحمود ، والحوض المردود واللواء المعقود ، ومن له الشفاعة في اليوم الموعود فكيف بك وكيف حالك أيها المطرود ، المتخلف المذود الذي كل صحائفه سود ، وعمله عليه مردود ، يا من يغتر بدهر لا يدوم ، يا مصراً على المظالم والظلم والله أنت شؤم ، يا من يروع الناس بظلمه وعند الله تجتمع الخصوم .

[إخواني] شوقتم فما رغبتم ، وخوفتم فما رهبتم ، وأيقظكم الموت بمن أخذ قلبكم ، فما انتبهتم ووعظكم القرآن فما انزجرتم ولا اتعظتم ، كأنكم بمنادي الرحيل يناديكم في ناديكم ، انتبهوا يا نيام فقد طلبتم ، أما كان لكم في موت المصطفى عبرة ، أما أجرى لكم عظيم مصابه عبرة ، أما أيقظكم فقدته من هذه السكره ، أما جالت لكم في قرب آجالكم فكرة ، أما اعتبرت بمن مضى قلبكم من السادات ، أما تحسرتم على من دفنتم من الآباء والأمهات ، والبنين والبنات ؟ كيف تلتذون باللذات وقد قال صاحب المعجزات : « إن للموت لسكرات » أما تمرّر حلو عيشكم والحياة ، حين قال عند الموت واكرباه ، أما أبكاكم توجع فاطمة البتول ، حين قالت لأبيها الرسول ، واكري لكريك يا أبتاه ؟ فأين أرباب العقول ، أين هو بما يعنيه مشغول ، أين من اغترّ بالبقاء في هذه الدار الفانية ، وقد فقد الرسول :

أسفي على فقد الرسول طويل      أسف مدى الأيام ليس يزول  
رزه تكاد الأرض منه والسما      هذي تميد له وتلك تميل

غمر القلوب بحزنه وبوجده  
وبكل ناد ناد متحسر  
بأي وأمي من ثوى في تربة  
والأرض بدّل صفوها بتكدر  
والجو أظلم بعد موت المصطفى  
أسفاً على من جاءنا بهداية  
وله الإله أي بتأييد له  
يا نفس لا بالموت تعتري ولا  
يا نفس بعد المصطفى أفتطمعي  
يا نفس كم تعصي إلهك جهرة  
يا نفس توي من ذنوبك إنه  
يا نفس كم تعصي وربك ناظر  
يا نفس قد أوقعت في شرك الردى  
يا نفس لا ترجي البقاء فإنه  
كيف الطريق إلى النجاة وإنني

فلكل قلب لوعة وغليل  
وبكل ناحية عليه عويل  
والحزن في قلبي عليه يحول  
وجرت بحار بالبكا وسيول  
والسحب أدمعها عليه همول  
وعليه حقاً أنزل التنزيل  
وعليه منه شاهد ودليل  
تصغي لقول الدهر حين يقول  
في الخلد كلا ما إليه سبيل  
والقلب مني بالذنوب عليل  
من يعص رب العرش فهو ذليل  
ويرى فعالك والدجى مسدول  
حقاً ومالك للخلاص وصول  
سيف المنايا في الورى مسلول  
بقيود ذنبي دائماً مغلول

ما حيلتي إلا البكاء وقد عدا  
حزني على قبح الذنوب يطول  
من بعد موت المصطفى هل لأمريء  
في الدهر يوماً للبقاء سبيل  
وهو النبي المصطفى والمجتي  
ونبي حق للورى ورسول  
صلى عليه الله جلّ جلاله  
ما حنّ مشتاق وسار دليل  
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### المجلس السابع والأربعين

في مناقب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين ،

وفيه قصة أبي يزيد البسطامي

الحمد لله الذي اختار لخدمته من اصطفاه من عباده ، وجذب إلى جنبه من أحبّ فأسرع  
إليه في انجذابه وانقياده ، حرك سواكن همم المريدين فكان ذلك سبباً لحصول مراده ، وأخذ منه

وسلبه عنه وقربه بعد إبعاده ، ونادمه في الأسحار ، وأطلعه على الأسرار ، وما نال ذلك  
بحرصه ولا اجتهداه وأوصله إلى ما يوصل إليه وسلك به سبيل رشاده ، وملأ قلبه بحبه ووده لما  
رآه حافظاً لعهد ووداده ، وتحلى عليه بأفضاله وأنعامه ، والغافل مشغول بطيب منامه ورقاده ،  
وقال له : يا عبدي ها أنا متجلّ عليك وناظر إليك ، ومن حصلت له فقد ظفر بقصده وإسعاده :  
ما لجفني ورقاده هو راض بسهاده أنا صب قد تجافى فجفا طيب رقاد  
يا خليّ القلب دع من ذاب من طول بعباده أنت ما تدري بوجود وغرام في فؤاده  
إن ترى هذا ضلالاً إنه عين رشاده

لو علم الغافل ما فاته لأكثر من نوحه وتعداده ، ولو سمع الحبيب وهو يخاطب أحبابه لم  
تخرج تلك الحسرة من فؤاده ، ولو شاهد جمال الحبيب لاعتزل عن العالم بانفراده ، سبقت  
السابقة وقضي الأمر ، والله يختص برحمته من يشاء من عباده :  
قف يباب الحبيب ليلاً وناد وتشكى من هجره وبعاده وعلى الباب عقر الخد ذلاً  
ولتكن حافظاً قديم وداده ثم قل طالبت القطيعة والهجد ورجفني لم يكتحل برقاد  
فالحبيب الذي ترجيه أضحي جوده فائضاً على قصاده

[ روى أبو هريرة رضي الله عنه ] عن النبي ﷺ أنه قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى  
يتلون كتاب الله ويتدارسونهم بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن  
عنده » :

فهم خواص الله أين تيمموا والذاكرون الله في الأصال والقائنون المخلصون لربهم  
الناطقون بأصدق الأقوال لم تخل أرض منهم قد حكموا ذات اليمين بها وذات الشمال  
[ وروى رافع بن عبد الله ] قال : قال لي هشام بن يحيى الكنايني : ألا أحدثك حديثاً رأيته  
بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسى أن ينفعك ؟ قلت : حدثني يا أبا الوليد ، قال :  
غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين ، وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من  
العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فإن سرنا درس القرآن . وإن أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة  
خفنا فيها فخرجت أنا وإياس نحرس ، ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب علينا  
أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة . وصبره على النصب ما تعجبت منه . فلما  
طلع الفجر قلت له : رحمك الله أن لنفسك عليك حقاً فلو أرحتها فبكى وقال : يا أخي إنما  
هي أنفاس تعد ، وعمر يفنى وأيام تنقضي وأنا رجل أرتقب الموت ، وأنتظر خروج نفسي ،  
قال : فأبكاني ذلك ، فقالت له : أقسمت عليم بالله إلا ما دخلت الخباء واسترحت ، فدخل  
فنام وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاماً في الخباء ، فقلت ما فيه أحد سواه فتقدمت قليلاً

فإذا به يضحك في نومه ويتكلم فحفظت من كلامه وهو يقول : ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يتلمس شيئاً ، ثم ردها رداً رقيقاً وهو يضحك ، ثم وثب من نومه وهو يتنفّض فاحتضنته إلى صدرى ملياً ، وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلهل ويكبر . فقلت : ما الخبر ؟ فقال : خير ، قلت : حدثني فقد سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ، ثم رددتها رداً خفيفاً ، فقال : لا أخبرك فأقسمت عليه ، قال : أو تكتنم عني ما حييت ؟ قلت : بلى ، قال : رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر أحسن منهما وجهاً فسلما عليّ فرددت عليهما السلام ، فقالا لي : يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك ، وشكر سعيك ، وقبل عملك واستجيب دعائك ، وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم . قال : فانطلقت معهما حتى أخرجاني عن جملة الموقف ، وإذا بخيل لا تشبه خيل الدنيا إنما هي كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فانتبهنا إلى قصر شاهق ما يبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئاً لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم ، فلما رأونا أخذوا في ألوان من القول الحسن بأنغام مختلفة يقولون هذا وليّ الله قد جاء فمرحباً وأهلاً ، فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب مكللة بالجواهر مخوفة بكراسي من ذهب وعلى كل سرير منها جارية لا يستطيع أحد من خلق الله تعالى أن يصفها ، وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكمالها وجمالها . فقال الرجلان : هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقيلك ، ثم انصرفا عني فوثب الجوّاري إليّ بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهنّ ، ثم حملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب الجارية وقلن : هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ، وقد طال انتظارك لك فكلمتها وكلمتني فقلت : أين أنا ؟ فقالت : في جنة المأوى فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا زوجتك الخالدة ، قلت : فأين الأخرى ؟ قالت : في قصرك الآخر فقلت : أقيم اليوم عندك وأتحول في غد إلى الأخرى ، ثم مددت يدي إليها فردتها رداً رقيقاً ، وقالت : أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثاً ، فقلت : ما أحب أن أرجع ، فقالت : لا بدّ من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ، ثم نهضت من مجلسها فنهضت لوداعها فاستيقظت ، قال هشام : فبلغني البكاء ، وقلت : هنيئاً لك يا سعيد جدد الله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال : هل رأى أحد غيرك ما رأيت ؟ قلت : لا ، فقال : بالله عليك أكتنم عني ما دمت في الحياة . ثم قام فتطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ،

ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا : ما رأيناه فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت في نفسي : لو يعلمون شأنه لتنافسوا في مثل عمله ، ثم مكث قائماً إلى آخر الليل ثم أصبح صائماً فقاتل أشد من اليوم الأول ، ثم مكث قائماً إلى آخر الليل ، ثم أصبح صائماً فقاتل أبلغ من كل يوم . قال أبو الوليد : فانطلقت معه لأنظر ماذا يكون منه ، فلم يزل يلقي نفسه في المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شيء حتى إذا دنا غروب الشمس جاءه سهم في نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له : هنيئاً لك يا سعيد فيما تفطر عليه الليلة يا ليتني كنت معك . قال : فعرض على شفته السفلى وهو يضحك ، ثم قال : الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم مات . قال هشام : فصحت : يا عباد الله ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ : [ الصافات : ٦١ ] واسمعوا ما أخبركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس فحدثتهم بالحديث على وجهه وما كان منه . فما رأيت باكياً كالساعة ، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث ، وبلغ الخبر إلى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلي عليه ، فقلت : صل عليه أيها الأمير فقال : بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف . قال : فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به . فلما طلع الصبح تذاكرنا حديثه فصاحوا صيحة واحدة وحملوا على العدو ففتح الله الحصن في ذلك النهار ببركته رحمه الله تعالى :

|                                |                          |
|--------------------------------|--------------------------|
| بالروح جد في هواهمو كرمأ       | وادخل حماهم تجد حمى حرما |
| واخلع عذار الوقار مطرحاً       | للهم واحذر بأن ترى سئما  |
| وغب عن الكون إن أردت بأن       | تحظى فهذا به الهوى رسما  |
| واشرب بكأس الغرام إن ترد السكر | وتبقى من جملة الندما     |
| ولا تبالي من العذول إذا        | قال بجهل هذا الغرام لما  |
| وكن محباً يرى الوجود إذا       | شاهد محبوب قلبه عدما     |
| يرضى بما يرتضي الحبيب له       | في حكمه حيث صح أو سقما   |
| يستعذب الموت حين بان له        | ما قد رآه في حبه كرما    |

[ وعن أبي يعقوب الطبري ] قال : خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه أياماً حتى أشرفت على الهلاك ، فبينما أنا كذلك إذ رأيت راهبين سائرين كأنهما قد خرجا من مكان يريدان ديراً لهما قريباً فملت إليهم وقلت لهما : أين تريدان ؟ قالا : لا ندري ، قلت : فمن أين أقبلتما ؟ قالا : لا ندري قلت : أو تدريان أين أنتما ؟ قالا : نعم نحن في ملكه وبين يديه فقلت في نفسي : راهبان يتحققان التوكل دونك فقلت لهما : أتأذنان لي في الصحبة قالوا : ذاك

إليك فسرنا . فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيمنت وصليت فنظرا إليّ وقد تيممت وصليت فتعجبا من ذلك . فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما في الأرض فانفجرت عين ماء وإلى جانبها طعام موضوع فتعجبت من ذلك . فقالا لي : ادن وكل واشرب فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء وقاما إلى صلاتهما وأنا أصلي وحدي حتى أصبحنا وصليت الفجر ثم قاما وسارا إلى الليل وأنا معهما . فلما أمسينا تقدم أحدهما فصلى برفيقه إلى ناحية ديرهما ، ثم دعا بدعوات وبحث في الأرض فظهر الماء وحضر الطعام فقالا : ادن وكل فدنوت فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ، ثم غار الماء . فلما كانت الليلة الثالثة قال لي : يا مسلم الليلة نوبتك . قال محمد بن يعقوب : فاستحييت من قولهما ودخلني هم شديد وأمر غريب فقلت في نفسي : اللهم إن ذنوبي لم تدع لي عندك جاهاً ولكني أسألك بجاء محمد عندك ألا تفضحني عندهما ولا تشمتهم بي ولا بدين نبيك محمد ﷺ قال : فإذا بعين ماء قد انفجرت وطعام كثير فأكلنا وشربنا ولم نزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم أملك رده وأصابهما مثلما أصابني وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما أفقت قالوا : ما يبكيك ؟ فقلت : أنا رجل مسرف على نفسي ، وليس لي عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغ هذه الكرامة ، قالوا : فكيف ظهر لك هذا ؟ قلت : توسلت إليه بجاء محمد ﷺ وقلت : رب أنا مسرف على نفسي وهذان عدوان لنبيك محمد ﷺ فلا تشمتهم بدينه فظهر ما رأيتهما فكانت الكرامة لمحمد ﷺ لا لي . فقالوا : والله نحن كذلك لما رأيناك عجبنا من حالك . فلما جاء وقت الوضوء والأكل فكنا ندعو بدعواتك وقلنا : اللهم إن كان دين هذا حقاً ونبيه حقاً فبحرمة نبيه عندك أظهر لنا ماء وأحضر لنا طعاماً فحضر ما رأيته وكل ذلك ببركة نبيك ، وقد عرفنا أن دينه الحق ، وهو عند الله عظيم فامدد يدك فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله . قال : فأسلمنا وخرجنا جميعاً إلى مكة فأقمنا بها مدة وخرجنا إلى الشام فتفرقنا ، فوالله ما ذكرتهما إلا وهانت عليّ الدنيا وصغرت في عيني :

|                    |                        |                         |
|--------------------|------------------------|-------------------------|
| لأرايتك حاضرا      | في القلب زاد بي الخمار | وبقيت فيك محيرا         |
| والقلب ليس له قرار | فامزج كؤوساً بالرضا    | جهرأ فما عنها اضطبار    |
| دارت على أحبابه    | فإليهم أبداً يشار      | لطفتم فلما ذاقها الأحبا |
| نحو الحب طاروا     | بذلوا إليه نفوسهم      | وعلى نفوس القوم غاروا   |
| إليه في بحر الهوى  | ركبوا وبالأرواح ساروا  | طلبوه حقاً بالقلوب      |
| وعندما نظروه حاروا | هاموا به حتى لقد       | أنست بقريرهم السديار    |

ورأوا إشارات الهدى لاحت لديهم فاستناروا

[إخواني] هذان كانا من جملة الرهبان ، فلاح لهما قدر خرم الإبرة من الإيمان ، فرأيا الطريق وسلكا منهج التصديق ، وأنت يا مسكين عمرك قد مضى في العصيان ، وزمانك قد ذهب في الخسران ، وأنت في بحر الغفلة غريق ، وقد ذهبت نسمات القبول أنت سكران بخمر المعاصي لا تفيق ، فبادر إلينا بالإخلاص والتصديق ، فقد فتحنا لك الطريق ، وهديناك إلى التوفيق .

### [ كان وكان ]

|                  |                     |                    |                    |
|------------------|---------------------|--------------------|--------------------|
| يا من زمانه يذهب | في كل ما لا ينفعه   | إلى متى ذا التواني | والهجر والتعويق    |
| انهض فهىء زادك   | قبل أن تسير القافلة | وانهض فحصل لنفسك   | على الطريق رفيق    |
| وإن منعنت فنادي  | يا واصلين بحقكم     | عطفاً على من أضحى  | من الذنوب غريق     |
| يا راحلين بقلبي  | ونازلين بمهجتي      | حملتموني بضعفي     | في الحب ما لا أطيع |
| وحقكم لست أنسى   | ما عشت عقد ودكم     | وعندكم ميثاق       | مدى الزمان وثيق    |

[ وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله عليه ] : كنت يوماً في بعض سياحتي متلذذاً بخلقوتي وراحتي مستغرقاً بفكري مستأنساً بذكري إذ نوديت في سري : يا أبا يزيد امض إلى دير سمعان واحضر مع الرهبان في يوم عيدهم والقربان ، فلنا في ذلك نبأ وشان . قال : فاستعذت بالله من هذا الخاطر ، وقلت : لست أخاطر ، فلما كان الليل أتاني الهاتف في المنام ، وأعاد عليّ ذلك الكلام فانتبهت وأنا أرجف وأرعد وعندي من هذا الكلام ما يقيم المقعد فنوديت في سري : لا بأس عليك أنت عندنا من الأولياء الأخيار ، ومكتوب في ديوان الأبرار ، ولكن البس زيّ الرهبان واشدد من أجلنا الزنار وما عليك في ذلك من جناح ولا إنكار . قال أبو يزيد : فقامت من باكراً وبادرت إلى امثال الأوامر ، ولبست زيّ الرهبان وحضرت معهم في دير سمعان ، فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا إليه ليسمعوا أرتج عليه المقام فلم ينطق الكلام كأن في فمه لجام . فقال له القسيسون والرهبان : ما الذي يمنعك من الكلام أيها الرهبان ؟ فنحن بقولك نهتدي وبعلمك نفتدي ، فقال : ما يمنعني أن أتكلم وأبتدي ، إلا أن بينكم رجل محمدي ، وقد جاء لدينكم ممتحناً وعليكم معتدي ، فقالوا : أرنا إياه نقتله الآن ؟ فقال : لا تقتلوه إلا بدليل وبرهان ، فإني أريد أن أمتحنه وأسأله عن مسائل في علم الأديان فإن أجاب عنها وأبان تركناه ، وإن عجز عن تفسيرها قتلناه ، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان ، فقالوا له : افعل ما تريد فنحن ما حضرنا إلا لنستفيد فقام كبيرهم على قدميه ونادى : يا محمدي بحق محمد عليك إلا ما نهضت قائماً على قدميك لتنظر العيون إليك فقام أبو يزيد ولسانه لا يفتر عن التقديس والتمجيد . فقال له البطرك : يا محمدي أريد أن أسألك عن مسائل فإن أجبت عنها وفسرتها

اتبعناك وإن عجزت عن تفسيرها قتلناك . فقال أبو يزيد سل عما تريد من المنقول والمعقول والله شاهد على ما نقول . فقال له البطرك : أخبرني عن واحد لا ثاني له ، وعن اثنين لا ثالث لهما ، وعن ثلاثة لا رابع لهم ، وعن أربعة لا خامس لهم ، وعن خمسة لا سادس لهم ، وعن ستة لا سابع لهم ، وعن سبعة لا ثامن لهم ، وعن ثمانية لا تاسع لهم ، وعن تسعة لا عاشر لهم ، وعن عشرة كاملة وعن أحد عشر ، وعن اثني عشر ، وعن ثلاثة عشر ، وعن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة ، وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأين مستقر اسمك من جسمك ، وعن الذاريات ذرواً ، وعن الحملات وقرأ ، وعن الجاريات يسراً ، وعن المقسمات أمراً ، وعن شيء تنفس بغير روح ونسألك عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين ، وعن قبر مشى بصاحبه ، وعن ماء لا نزل من السماء ولا ينبع من الأرض ، وعن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم ، وعن أول دم أريق على وجه الأرض . ونسألك عن شيء خلقه الله ثم اشتراه . ونسألك عن شيء خلقه الله ثم أنكره ونسألك عن شيء خلقه الله ثم استعظمه . وعن شيء خلقه الله وسأل عنه . وعن أفضل النساء . وعن أفضل البحار . وعن أفضل الجبال . وعن أفضل الدواب . وعن أفضل الشهور . وعن أفضل الليالي وعن الطامة . وعن شجرة لها اثنا عشر غصناً في كل غصن ثلاثون ورقة وفي كل ورقة خمس زهرات اثنتان في الشمس وثلاثة في الظل . وعن شيء حج إلى بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة . وكم من نبي خلقه الله . وكم منهم مرسل وغير مرسل . وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها . والأصل واحد . وعن النقيير والقطمير والفيتيل . وعن السبد والبلد وعن الطم والرم . وأخبرنا ما يقول الكلب في نبيحه . وما يقول الحمار في نهيقه . وما يقول الثور في نعيه . وما يقول الفرس في صهيله . وما يقول البعير في رغاءه . وما يقول الطاوس في صياحه . وما يقول الدراج في صفيره . وما يقول البلبل في تغريده . وما يقول الضفدع في تسبيحه . وما يقول الناقوس في نقيره وأخبرنا عن قوم أوحى الله إليهم لا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ، وأخبرنا أين يكون الليل إذا جاء النهار ، وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فقال أبو يزيد : هل بقي أسئلة غير هذه ؟ قالوا : لا ، فإن فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم أنت الشاهد على ما يقولون ، ثم قال : أما سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله الواحد القهار ، وأما سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار ، لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ﴾ : [ الإسراء : ١٢ ] وأما سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لهم فهم العرش والكرسي والقلم . وعن أربعة لا خامس لهم فهم الكتب المنزلّة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وأما سؤالكم عن خمسة لا سادس لهم فهم الصلوات الخمس المفروضة

على كل مسلم ومسلمة . وأما سؤالكم عن ستة لا سابع لهم فهم الستة أيام التي ذكرها الله في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ : [ ق : ٣٨ ] وأما سؤالكم عن سبعة لا ثامن لهم فهم السبع سموات لقوله تعالى ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ : [ الملك : ٣ ] . وأما سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ : [ الحاقة : ١٧ ] وأما سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط المفسدون لقوله تعالى ﴿ وَكَانَ فِي الدِّينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ : [ النمل : ٤٨ ] وأما سؤالكم عن عشرة كاملة فهي العشرة أيام يصومها المتمتع عند فقد الهدي لقوله تعالى ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ : [ البقرة : ١٩٦ ] . وأما سؤالكم عن أحد عشر فهم أخوة يوسف لقوله تعالى حكاية عنه : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ : [ يوسف : ٤ ] .

وأما سؤالكم عن اثني عشر فهي عدة الشهور لقوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ : [ التوبة : ٣٦ ] . وأما سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤيا يوسف لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ : [ يوسف : ٤ ] وأما سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم إخوة يوسف لقوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ إِنَّا ذُهِبْنَا لَتِيقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَكَلَّمْنَا لَذُنُوبَ ﴾ : [ يوسف : ١٧ ] فكذبوا وأدخلوا الجنة . وأما سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ : [ البقرة : ١١٣ ] فصدقوا وأدخلوا النار . وأما سؤالكم أين مستقر أسماك من جسمك فمستقره أذنك . وأما سؤالكم عن الذاريات ذرواً فهي الرياح الأربع . وأما سؤالكم عن الحملات وقرأاً فهي السحب لقوله تعالى ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ : [ البقرة : ١٦٤ ] . وأما سؤالكم عن الجاريات يسراً فهي السفن الجاريات في البحر . وأما سؤالكم عن المقسمات أمراً فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم من نصف شعبان إلى نصف شعبان . وأما سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهم السبع سموات والسبع أرضين لقوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ : [ فصلت : ١١ ] . وأما سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام . وأما سؤالكم عن شيء تنفس بلا روح فهو الصبح لقوله تعالى ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ : [ التكويد : ١٨ ] . وأما سؤالكم عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الأرض فهو الماء الذي بعثته بلقيس في قارورة من عرق الخيل إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وأما سؤالكم عن أربعة لا من ظهر أب ولا من بطن أم فهم كبش إسماعيل وناقاة

صالح وآدم وحواء . وأما سؤالكم عن أول دم أهرق على وجه الأرض فهو دم هابيل لما قتله قابيل ، وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله ثم اشتراه فهو نفس المؤمن لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ : [ التوبة : ١١١ ] . وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله وأنكره فهو صوت الحمار لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ : [ لقمان : ١٩ ] . وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ : [ يوسف : ٢٨ ] . وأما سؤالكم عن شيء خلقه الله وسأل عنه فهي عصا موسى لقوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴾ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ : [ طه : ١٧ - ١٨ ] . وأما سؤالكم عن أفضل النساء فهي حواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران رضي الله عنهم أجمعين ، وأما سؤالكم عن أفضل البحار فهو سيحون وجيحون والدجلة والفرات ونيل مصر ، وأما سؤالكم عن أفضل الجبال فهو جبل الطور ، وأما سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل ، وأما سؤالكم عن أفضل الشهور فهو شهر رمضان لقوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ : [ البقرة : ١٨٥ ] ، وأما سؤالكم عن أفضل الليالي فهي ليلة القدر لقوله تعالى ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ : [ القدر : ٣ ] . وأما سؤالكم عن الطامة فهي يوم القيامة ، وأما سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصناً في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل : أما الشجرة فهي السنة ، وأما الأغصان فهي الشهور ، وأما الأوراق فهي الأيام ، وأما الخمس زهرات فهي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ثلاثة في الظل المغرب والعشاء والصبح واثنان في الشمس وهما الظهر والعصر ، وأما سؤالكم عن شيء حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة فهي سفينة نوح عليها السلام ، وأما سؤالكم كم خلق الله من نبيّ وكم منهم مرسل فأما الأنبياء فهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، وأما المرسلون منهم فثلاثمائة وثلاثة عشر . وأما سؤالكم عن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والأصل واحد فهي العينان والأنف والفم والأذنان ، فماء العينين مالح وماء الفم حلو وماء الأنف حامض ، وماء الأذنين مرّ . وأما سؤالكم عن النقيير فهي النقرة التي في ظهر النواة والقطمير هي القشرة البيضاء ، والفتيل الذي يكون في بطن النواة . وأما سؤالكم عن السبد والبلد فهو شعر الضأن والمعز . وأما سؤالكم عن الطمّ والرمّ فهم الأمم الماضية قبل أبينا آدم عليه السلام . وأما سؤالكم عما يقول الحمار في نهيجه فإنه يرى الشيطان فيقول لعن الله العشار وهو المكاس . وأما سؤالكم عما يقول الثور الكلب في نهيجه فإنه يقول : ويل لأهل النار من غضب الجبار . وأما سؤالكم عما يقول الثور في نعيه فإنه يقول : سبحان الله وبحمده . وأما سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فإنه يقول

سبحان حافظي إذا التقت الأبطال واشتغلت الرجال بالرجال . وأما سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فإنه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلًا . وأما سؤالكم عما يقول الطاوس في صياحه فإن يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [ طه : ٥ ] وأما سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فإنه يقول سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وأما سؤالكم عما يقول الضفدع في تسبيحه فإنه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار . وأما سؤالكم عما يقول الناقوس في نقيره فإنه يقول سبحان الله حقاً حقاً انظر يا ابن آدم في الدنيا غرباً وشرقاً ما ترى فيها أحداً يبقى . وأما سؤالكم عن قوم أوحى الله إليهم لا من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة فهم النحل لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [ النحل : ٦٨ ] . وأما سؤالكم عن الليل أين يكون إذا جاء النهار وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فإنهما يكونان في غامض علم الله تعالى ما أظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، بك كان ذلك في غامض علم الله تعالى ، ثم قال أبو زيد : هل تعالى ما أظهر عليه بقي لكم سؤال ؟ قالوا : لا ، قال : فأخبرني أنت عن مفتاح السموات ومفتاح الجنة ما هو ؟ فسكت كبيرهم فقالوا له : أنت سألته عن مسائل كثيرة فأجاب عنها جميعها ، وقد سألك عن مسألة واحدة فعجزت عن جوابها ؟ فقال : ما عجزت ولكني أخاف أن أجيبه عن سؤاله فلا توافقوني ، فقالوا : بلى نوافقك إذا أنت كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه . فقال : مفتاح السموات والجنة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما سمعوا ذلك منه أسلموا عن آخرهم وأخربوا الدير وبنوه مسجداً وقطعوا زنايرهم فهناك نودي أبو يزيد في سره : يا أبا يزيد أنت شددت من أجلنا زناراً واحداً فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار :

|                   |                     |                  |                  |
|-------------------|---------------------|------------------|------------------|
| يا رب إني راض     | ما شئت فضلا وعدلا   | سيرتني تحت أمر   | رضيته لم أقل لا  |
| هديت قوماً وكانوا | نصبوا لي الشرك جهلا | قومتهم فاستقاموا | جمعت للقوم شملا  |
| حول الجناب تراهم  | قد عفوا الخذلاً     | أصواتهم زينوها   | بقوله أشهد أن لا |

وشاهدوا الحق جهراً لما بدا وتجلّى

[إخواني] هؤلاء كانوا كفاراً في ظلمات العمى فأنقذهم الله بنور الهدى وحماهم من الردى ، كل ذلك ببركة قوله لا إله إلا الله ، فانظروا إلى كلمة الإخلاص ما أعظم بركاتها وأنجح حاجاتها فرطبوا ألسنتكم بها لتنالوا بركة إحسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا حرم أمانها ، فإنها حصن منيع ودرع رفيع ، وقد قال تعالى في بعض كتبه المنزل : أكثروا من قول لا إله إلا الله ، فإنها حصني ، ومن دخل حصني أمن عذابي ، وقال بعض الصحابة : من قال لا إله

إلا الله مخلصاً من قلبه ومدها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب . فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً ، فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها في كل يوم مرة ، فكيف بمن أكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شغله ؟

[ إخواني ] إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فإنها تكفر الذنوب والعصيان ، وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله ، فإنها تجدد الإيمان وتحرز الأمن والأمان والعفو والغفران من الملك المنان :

|                              |                        |                           |
|------------------------------|------------------------|---------------------------|
| ما ضلّ عبد وأنت ترشده        | وكيف يشقى من أنت تسعده | أم كيف يظفي اللهب من كبدي |
| والشوق مني إليك يوقده        | عليك لا لوم في مهاجري  | الذنب فلا أعده            |
| من أين لي الصبر عنك يا أُملي | فصبري اليوم فيك أفقده  | والله ما خاب في توجهه     |
| من أنت من ذا الوجود مقصده    | كلا ولا ضل عن طريق هدى | من كان بالمصطفى تقيده     |
| المجتبى المرتضى الذي سعدت    | زوّاره منه حين تقصده   |                           |
| عليه منا الصلاة دائمة        | ومن إله ما خاب قاصده   |                           |

### المجلس الثامن والأربعون

في زواج علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنهما وشفعهما فينا

الحمد لله العظيم المحمود ، الكريم المقصود القديم الموجود ، الذي أطلع من آفاق التوفيق لأهل التحقيق نجوم السعد ، وجلّى عرائس الموجود في مرآة الشهود ، فمن فهم المطلوب بلغ المقصود زين زمان الربيع بعروس غروس الأشجار تحطر في حلل البهاء بقدود كل غصن أملود وأقام في غرسها خطباء الأطيّار على منابر الأشجار تثني في الأسحار بحمد الملك المعبود ، وجعل العقل حكماً على الجوارح والعينين من جملة الشهود ، وأمرهم بالتفكر في عجائب مصنوعاته فشهدوا عقد حبات السنبل والعنقود ، فاعجب لصانع القدرة بعد النظر والفكرة كيف كوّن هذه الأكوان المختلفة الأعيان القاطعة لأهل الطغيان والجهود ؛ فسبحان مفجر

الأنهار من صم صخر الجلمود ومطلع الأزهار من خلال الأشجار ومخرج ثمرها من عود ، زين السماء بالنيرين ، والبطحاء بالعمرين والزهراء بالسبطين ، وجعل جدهما أشرف الجدود ، فكم مشتاق إليه لهفان عليه كدحت نجائب الشوق إليه بالسوق الكدود ، فقطعت به مفاوز الهجر والصدود ، فإذا وصلت إلى ذلك النادي تراها تنود وإذا حدا لها الحادي أرخت الدموع على الخدود :

عج على الوادي ونجد وزرود أيها الحادي وأنجز بالوعود ثم عرج بالمطايا فلها  
بين وادي الشيخ والرند ورود خلها ترعى بكثبان الحمى فلها فيها هبوط وصعود  
لا تسقها أيها الحادي فما ترك الشوق بها إلا الجلود لو تشاهدها إذا ما استنشقت  
نسمات الحي بالنفس تجود وإذا لاحت لها دار المنى مدت الأعناق بالسعي الكدود

للنبي الهاشمي المصطفى صفوة الرحمن من كل الوجود  
فعليه الله صلى كلفاً صدحت قمريّة من فوق عود

[ روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ] قال : قال رسول الله ﷺ : « فاطمة بضعة مني فاطمة حوراء إنسية » . وروي عن بعض الرواة الكرام أن خديجة الكبرى رضي الله عنها تمت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى فاكهة دار السلام ، فأتى جبريل إلى المفضل على الكونين من الجنة بتفاحتين وقال : يا محمد يقول لك من جعل لكل شيء قدراً كل واحدة وأطعم الأخرى لخديجة الكبرى ، واغشها فلاني خالق منكما فاطمة الزهراء ، ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمر ، فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر ، وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ، قالت خديجة : واخية من كذب محمداً وهو خير رسول ونبي ، فنادت فاطمة من بطنها : يا أمه لا تحزني ولا ترهبي فإن الله مع أبي ، فلما تمّ أمد حملها وانقضى وضعت فاطمة فأشرق بنور وجهها الفضاء وكان المختار كلما اشتاق إلى الجنة ونعيمها قبل فاطمة شم طيب نسيمها . فيقول حين ينشق نسماتها القدسية : إن فاطمة لحوراء إنسية ، فلما استنارت في سماء الرسالة شمس جهالها وتمّ في أفق الجلالة بدر كمالها امتدت إليها مطالع الأفكار وتمنت النظر إلى حسننها أبصار الأخيار وخطبها سادات المهاجرين والأنصار ، ردهم المخصوص من الله بالرضا ، وقال : إني أنتظر بها القضا :

من مثل فاطمة الزهراء في نسب وفي فخار وفي فضل وفي حسب  
والله فضلها حقاً وشرفها إذ كانت ابنه خير العجم والعرب

ولقد خطبها أبو بكر وعمر ، فقال لهما رسول الله ﷺ : إن أمرها إلى الله تعالى ؛ ثم إن أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ كانوا جلوساً في مسجد رسول الله ﷺ ، فتذكروا أمر فاطمة رضي الله عنها ، فقال أبو بكر : قد خطبها الأشراف ، فردهم رسول الله ﷺ ، وقال : إن أمرها إلى الله عز وجل ، وإن علياً لم يخطبها ولم يذكرها ولا أرى ما يمنعه من ذلك إلا قلة ذات اليد وإنه ليقع في نفسي أن الله تعالى ورسوله إنما يحبسانها لأجله ، ثم أقبل أبو بكر على عمر وعلى سعد ، وقال لهما : هل لكما في القيام إلى عليّ كرم الله وجهه فنذكر له أمرها فإن منعه من ذلك قلة اليد واسيناه . فقال سعد : وفقك الله يا أبا بكر فخرجوا من المسجد والتمسوا علياً في مسجده فلم يجده ، وكان ينضح الماء ببعير على نخل لرجل من الأنصار بأجرة فانطلقوا نحوه فلما رآهم قال : ما وراءكم ؟ فقال أبو بكر ﷺ : يا أبا الحسن إنه لم يبق خصلة من خصال الخير إلا ولك فيها سابقة وفضل وأنت من رسول الله ﷺ بمكان الذي عرفت من القرابة ، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة ، فردهم وقال : إن أمرها إلى الله تعالى فما يمنعك أن تذكرها وتخطبها فإني أرجو أن يكون الله عز وجل ورسوله يحبسانها لك ؟ قال : فتغرغرت عينا عليّ بالدموع . وقال : يا أبا بكر لقد هيجت عليّ ما كان ساكناً وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً والله إن لي في السيدة لرغبة ، وما مثلي من يقعد عن مثلها ولكن يمنعي من ذلك قلة ذات اليد . فقال أبو بكر : لا تقل كذا يا أبا الحسن فإن الدنيا وما فيها عند الله ورسوله كهباء منثور . ثم إن علياً كرم الله وجهه حلّ عن ناضحه وقاده إلى منزله فشده فيه وأخذ نعله وأقبل إلى رسول الله ﷺ عند أم سلمة فطرق الباب فقالت : من بالباب ؟ فقال رسول الله ﷺ : قومي وافتحني له الباب ، هذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما ، فقالت : فذاك أبي وأمي ومن هذا ؟ فقال : هذا أخي بأحبّ الخلق إليّ ، قالت أم سلمة : فقمتم مبادرة أكاد أعثر في مرطي ففتحت الباب . فإذا أنا بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فوالله ما دخل حتى علم أنني قد رجعت إلى خدري فدخل وسلم فرد عليه النبي ﷺ السلام ، ثم قال له : اجلس فجلس بين يدي النبي ﷺ وجعل يطرق إلى الأرض كأنه قاصد حاجة يستحي منه ، فقال له النبي ﷺ : يا علي كأنك قاصد حاجة فابدأ بما في نفسك فكل حاجتك عندي مقضية ، فقال علي ﷺ : فذاك أبي وأمي يا رسول الله إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي لا أعقل شيئاً ، فهديتني وأدبتني وهذبتني فكنت لي أفضل من أبي طالب وفاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة وإن الله عز وجل هداني بك واستنقذني عما كان عليه

آبائي وأعمامي من الشرك ، وإنك يا رسول الله ذخري ووسيلتي في الدنيا والآخرة وقد أحببت مع ما شدد الله عز وجل بك من عضدي أن يكون لي بيت وزوجة أسكن إليها وقد أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة فهل تزوجني يا رسول الله ؟ قالت أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد تهلل فرحاً وسروراً ثم تبسم في وجه عليّ ، وقال يا علي هل معك شيء تصدقها إياه ؟ قال : والله ما يخفى عليك حالي ولا شيء من أمري ما أملك غير درعي وسيفي وناضحي . فقال رسول الله ﷺ : أما سيفك فلا غنى لك عنه تجاهد به في سبيل الله ، وأما ناضحك فتنضح عليه لأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكنني زوجتك على درعك ورضيت به منك وأبشر يا أبا الحسن فإن الله عز وجل قد زوجك بها في السماء قبل أن أزوجه في الأرض ، ولقد هبط عليّ ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أر قبله من الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى ، فقال لي : السلام عليك يا رسول الله أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فقلت : وما ذاك ، أيها الملك ؟ فقال : يا محمد أنا سبطائيل الموكل بإحدى قوائم العرش سألت الله تعالى أن يأذن لي ببشارتك وهذا جبريل عليه السلام أت على أثري يخبرك عن ربك بكرامة الله عز وجل ، قال النبي ﷺ : فما استتم الملك كلامه حتى هبط جبريل عليه السلام ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع في يدي حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور فقلت : حبيبي جبريل ما هذه الخطوط ؟ قال : إن الله عز وجل أطلع على الأرض اطلاعة فاخترك من خلقه وبعثك برسالته ثم أطلع إليها ثانية فاختر لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وحبیباً فزوجه ابنتك فاطمة ، قلت : حبيبي جبريل ومن هذا الرجل ؟ فقال : أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأن الله تعالى أوحى إلى الجنان أن تزخرفي وإلى الحور أن تزيني وإلى شجرة طوى أن احملي الحلى والحلل وأمر الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور فهبطت ملائكة الصفيح الأعلى وأمر الله تعالى رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وهو المنبر الذي خطب عليه آدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء وأمر الله عز وجل ملكاً من ملائكة الحجب يقال له راحيل فعلا ذلك المنبر وحمد الله بجميع محامده وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحاً وسروراً . قال جبريل : وأوحى الله تعالى إليّ أن أعقد عقدة النكاح فإني زوجت علياً ولبي بفاطمة أمتي بنت رسولي وصفوتي من خلقي محمد ﷺ فعقدت عقدة النكاح وأشهدت على ذلك الملائكة ، وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة ، وقد أمرني ربي أن أعرضها عليك وأختتمها بخاتم من مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان . ثم إن الله

تعالى لما أشهد على تزويج فاطمة ملائكته أمر شجرة طوى أن تنثر ما فيها من الحلى والحلل فثرت ذلك والتقطته الحور العين والملائكة وإن الحور العين ليتهادونه إلى يوم القيامة ، وقد أمرني أن آمرك بتزويجها علياً في الأرض وأن أبشرها بغلامين ذكيين نجيين فاضلين طاهرين خيرين في الدنيا والآخرة . قال رسول الله ﷺ : ما عرج الملك يا أبا الحسن حتى طرقت الباب ، وألا وإني منفذ فيك أمر ربي فامض يا أبا الحسن أمامي فإني ذاهب إلى المسجد ومزوجك على رؤوس الناس ، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك . قال عليّ كرم الله وجهه : فخرجت من عنده مسرعاً وأنا لا أعقل من شدة الفرح فاستقبلني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا لي : ما رواءك يا أبا الحسن ، قلت : زوجني رسول الله ﷺ فاطمة وأخبرني أن الله تعالى زوجني بها في السماء وهذا رسول ﷺ آت على أثري إلى المسجد فيقول ذلك في محضر من الناس ، ففرحنا بذلك ودخلا المسجد ، فوالله ما توسطاه حتى لحق بنا رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل سروراً . فقال رسول الله ﷺ : يا بلال اجمع المهاجرين والأنصار فانطلق بلال لأمر رسول الله ﷺ وجلس النبي ﷺ قريباً من منبره حتى اجتمع الناس ثم قام فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين إن جبريل أتاني آنفاً فأخبرني أن الله عز وجل استشهد الملائكة عند البيت المعمور أنه زوج أمته فاطمة ابنتي من عبده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على أني زوجته بها . ثم جلس وقال لعليّ : قم يا علي واخطب لنفسك فقام علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه . فقال : الحمد لله وشكراً لأنعمه وأياديه : وأشهد أن إلّه إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الوجيه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وبنيه صلاة ترضيه . وبعد ، فإن النكاح سنة أمر الله به وأذن فيه وقد زوجني رسول الله ﷺ ابنته فاطمة وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت ورضي فاسألوه واشهدوا . فقال المسلمون : بارك الله فيكما وعليكما وجمع شملكما . ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أزواجه فأمرهن أن يدفن لفاطمة رضي الله عنها فضرب أزواج النبي ﷺ بالدفوف على رأس فاطمة ، قال علي عليه السلام : فأخذت درعي وبمضيت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم من عثمان بن عفان عليه السلام . فلما قبضت الدراهم وقبض الدرع قال لي : يا أبا الحسن ألسنت الآن أولى منك بالدرع وأنت أولى مني بالدراهم ؟ قلت : بلى قال : فإن الدرع هدية مني إليك ، قال علي : فأخذت الدرع والدراهم وأتيت بهما إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من عثمان فدعا له بخير وقبض رسول الله ﷺ قبضة من الدراهم ، ثم دعا بأبي بكر عليه السلام

فقال : يا أبا بكر اشتر بهذه الدراهم ما يصلح لفاطمة وأرسل معه سلمان وبلالاً يعينانه على حمل ما يشتريه . قال أبو بكر ﷺ : كانت الدراهم التي دفعها إليّ رسول الله ﷺ ثلاثه وستين درهماً فاشتريت فراشاً من خيش محشواً بالصوف ونطعاً من أديم ووسادة من أديم حشوها من ليف النخل وقربة للماء وكيزاناً وستر صوف رقيق فحملت أنا بعضه وسلمان بعضه وبلال بعضه وأقبلنا فوضعناه بين يدي رسول الله ﷺ فلما نظر إليه بكى . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم بارك لقوم شعارهم الخوف منك قال علي : ودفع رسول الله ﷺ باقياً ثمن الدرع إلى أم سلمة وقال : ارفعي هذه الدراهم عندك فمكثت بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول الله ﷺ حياءً منه غير أني كنت إذا خلوت برسول الله ﷺ يقول لي : يا أبا الحسن زوجتك سيدة نساء العالمين . قال علي : فلما كان بعد شهر دخل عليّ أخي عقيل بن أبي طالب ، فقال : يا أخي ما فرحت قط بشيء كفرحي بتزوّجك فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإن تدخل عليها قرّت أعيننا باجتماع شملكما ، فقلت : والله إني لأحب ذلك وما يمنعني إلا الحياء من رسول الله ﷺ ، فقال : أقسمت عليك إلا ما قمت معي فقامت منه نريد رسول الله ﷺ فلقيننا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ فذكرنا لها ذلك فقالت : أمهلاً ودعانا نحن نكلمه في أمرها فإن كلام النساء أوقع في النفس من كلام الرجال . ثم انشئت راجعة إلى أم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء رسول الله ﷺ فاجتمعت أمهات المؤمنين إلى رسول الله ﷺ وكان في بيت عائشة ، فأحدقن به وقلن : يا رسول الله ﷺ فدينك بآبائنا وأمهاتنا إنا قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرّت عينها بذلك قال أم سلمة : فلما ذكر خديجة بكى رسول الله ﷺ وقال : وأين مثل خديجة صدّقني حين كذبتني الناس وأعانتني على ديني ودياري بماها . فقالت أم سلمة : يا رسول الله ﷺ إن خديجة كانت كذلك غير أنها مضت إلى ربها فالله تعالى يجمع بيننا وبينها في درجات الجنة ، وهذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب يحب أن يدخل على زوجته فاطمة . فقال رسول الله ﷺ : يا أم سلمة أرسلني إلى أم أيمن وأمرها أن تنطلق إلى عليّ فتأتينني به فخرجت أم أيمن فإذا عليّ ينتظرها . فقالت له : أجب رسول الله ﷺ ، قال علي : فانطلقت معها إلى رسول الله ﷺ وهو في حجرة عائشة رضي الله عنها فقامت أزواجه . فدخلن البيت فجلست بين يدي رسول الله ﷺ مطرقاً فقال : أتحب أن تدخل على زوجتك ؟ فقلت : نعم فذاك أبي وأمي ، فقال : حباً وكرامة تدخل عليها في ليلتنا هذه إن شاء الله تعالى ، قال علي : ثم قمت من عنده فرحاً مسروراً فأمر رسول الله ﷺ أن تزين فاطمة وتطيب ويفرش لها ودفع النبي ﷺ

لعلي عشرة دراهم من الدراهم التي كانت عند أم سلمة وقال له : اشتر بهذه تمراً وسمناً وأقطاً . قال علي : فاشترت ذلك وأتيت به إلى رسول الله ﷺ فحسر عن ذراعيه ودعا بسفرة من آدم فجعل يشدخ التمر بالسمن ويخلطه بالأقط حتى جعله حيساً . ثم قال : يا علي ادع من أحببت فخرجت إلى المسجد فوجدت أصحاب رسول الله ﷺ فقلت : أجيئوا رسول الله ﷺ فقام القوم بأجمعهم فأقبلوا نحوه فأخبرته أن القوم كثير فجعل السفرة بمنديل . ثم قال : ليدخلن عشرة عشرة ففعلت ذلك فجعلوا يأكلون ويخرجون والسفرة لا تنقص حتى أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل ببركة النبي ﷺ ثم دعا رسول الله ﷺ بفاطمة وعلي فأخذ علياً يمينه وفاطمة بشماله وجمعها إلى صدره وقبلهما بين عينيها ثم دفعها إليه . وقال : يا أبا الحسن نعم الزوجة زوجتك ثم قام يمشي معهما إلى البيت الذي لهما ، ثم خرج وأخذ بعضادتي الباب ، وقال : جمع الله شملكما استودعتكما الله واستخلفته عليكم فأقبل علي ﷺ على فاطمة يلاطفها بالكلام حتى جن الظلام فأخذت في البكاء ، فقال : ما يبكيك يا سيدة النساء ألم ترصيني أن أكون لك بعلاً وتكوني لي أهلاً ؟ فقالت : يا ابن العم كيف لا أرضى وأنت الرضا وفوق الرضا ، وإنما فكرت في أمري وحالي عند ذهاب عمري ونزولي في قبري فشبهت دخولي إلى فراش عزي وفخري بدخولي لحدي وقبري ، وأنا أسألك يا ابن العم بحق أبي إلا ما بلغتنني قصدي وأربي وقمت بنا إلى محرابنا نتعبد في هذه الليلة فهو أحق وأحرى بنا فنهضا إلى المحراب ، وقاما إلى التهجد في خدمة رب الأرباب .

[ إخواني ] ما كانت همم القوم في الدنيا ولذاتها ، ولا في راحة النفس وشهواتها ، ولا كانت تسمو همهم العالية إلا إلى الدار الباقية لا جرم جعل ذكرهم في الكتاب مسطوراً ، وكتب لهم بالشارة منشوراً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ ] فتركوا فراش لذاتهم واشتغلا بعبادتهما فكانا يقطعان الليل بالقيام والنهار بالصيام حتى مضت ثلاثة أيام ، ثم رقدا على فراشهما ، فهبط الأمين جبريل عليه السلام في اليوم الرابع على سيد الأنام وقال له : ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إن علياً وفاطمة الكرام ، تركا فراشهما وهجرا المنام في هذه الثلاثة أيام ، وأقبلا على الصيام والقيام ، فامض إليهما وسل عنهما وقل لهما : إن الله تعالى قد باهى بكما الملائكة المقربين ، وإنكما تشفعان يوم القيامة في العصاة والمذنبين ، فقام النبي ﷺ وأتى إلى منزلها ودخل فصادف في البيت أسماء بنت عميس ، فقال لها : ما يوقفك ههنا وفي البيت رجل ؟ فقالت : فذاك أبي وأمي يا رسول الله إن البنت إذا زفت إلى زوجها

احتاجت إلى امرأة تتعهد بها وتقوم بأمرها وبحوائجها فقامت ههنا لأقضي حوائج فاطمة فتغرغرت عينا رسول الله ﷺ بالدموع ، وقال : يا أسماء قضى الله لك كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة . قال عليّ ؑ : وكانت غداة قرّ وبرد شديد ، وكنت أنا وفاطمة تحت العباءة ، فلما سمعنا كلام رسول الله ﷺ همنا أن نقوم فنظرنا رسول الله ﷺ فقال : سألتكما بحقي عليكما لا تفرقا حتى أدخل عليكما فرجع كل واحد إلى صاحبه ودخل النبي ﷺ فجلس عند رؤوسنا وأدخل رجله فيما بيننا فأخذت رجله اليمنى وضممتها إلى صدري وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمتها إلى صدرها ، وجعلنا ندفع رجلي رسول الله ﷺ من البرد حتى دفتنا ثم دعا لنا بخير ، ثم أمر علياً بالخروج فخرج فقال لفاطمة : كيف رأيت بعلك يا بنية ؟ فقالت : إنه خير بعل يا أبت ثم دعا بعليّ فقال له : ارفق بزوجتك والطف بها فإن فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرنني ما يسرها استودعتكما الله واستخلفته عليكما ، وأذهب عنكما الرجز وطهركما تطهيراً . قال علي كرم الله وجهه : فوالله ما أغضبته ولا أكرهتها بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله تعالى إليه ، ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً ، ولقد كانت تكشف عن الهموم والأحزان كلما نظرت إليها ، رحمة الله عليها :

|                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| من مثل فاطمة البتول وبعلمها    | أعني علياً سيد الفرسان      |
| نالا من المختار أعلى رتبة      | فلأجل ذا فاقا على الأقران   |
| تركاً فراشهما وقاما في الدجى   | يتلذذان بطاعة الرحمن        |
| قد آثرا الأخرى على الدنيا وما  | فيها من العيش اليسير الفاني |
| والله قد باهى ملائكة السما     | بهما وخصهما بكل أمان        |
| هم آل بيت المصطفى والعروة الـ  | وثقى لمن يبغى سنا الإيمان   |
| وبهم يزول الهم عنا والأذى      | وبهم تزول غواية الشيطان     |
| ماذا يقول المادحون لوصفهم      | ومديحهم قد جاء في القران    |
| يا فوز من أضحى به متمسكاً      | وغدا له نور من المنان       |
| فبهم غداً أرجوا النجاة وأتقي   | سوء العذاب وزفرة النيران    |
| هم آل طه الطاهرون ومن لهم      | شأن عظيم ياله من شان        |
| قاموا وصاموا في الهواجر والدجى | وترغسوا في الليل بالقرآن    |
| فإليهم تسعى الوفود وترتجي      | منهم قرى الإكرام للضيفان    |

آل النبي ورهطه وأصحابه      والتابعون له على الإحسان  
هم آل بيت المصطفى علم الهدى      خير الووى المبعوث من عدنان  
صلى عليه الله ما سرت الصبا      وتناغت الأطييار في الأغصان

## المجلس التاسع والأربعون

### في ذكر الموت والتفكير فيه

الحمد لله المتوحد بأنواع المصنوعات ، المتفرد باختراع المخلوقات ، المنزه عن التجسيم والتقسيم والسمات ، المتعالي عن الأشكال والأمثال والأماكن والجهات ، المقدس عن الأعيان والألوان والكيفيات ، الموصوف بقدَم الأسماء والصفات ، القريب ممن دعاه لا بقرب المسافات ، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات ، الذي يغفر الذنوب ويستر العيوب ويقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات ، العالم بمكنون الأسرار ومصون الأفكار والخفيات ، الخبير فلا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ، السميع فلا يعزب عن سمعه اختلاف الأصوات ، البصير فلا يعزب عنه دبيب النمل على الرمل في الظلمات ، الواحد الأحد فلا ثاني له في الكائنات ، الفرد الصمد المنزه عن البنين والبنات ، الباقي على الأبد ويفني كل أحد ويقضي عليه بالممات ، فسبحان ميمت الأحياء محيي الأموات . بينما المرء يغترّ في دنياه بلذيد الشهوات ، غرق في بحار الغفلات ، إذ أتاه الموت فجرّعه من مرّة كاسات ، وألقى عليه من غمه غمرات ، فغشيته من كربه سكرات ، وأورثه من شدته حشرات ، فرحل عما كان فيه من اللذات ، وأبكى الآباء والأمهات ، وأيتم البنين والبنات ، وجرت على مصائبه العبرات ، وحمل على الأعناق إلى الفلوات ، وصار في قبره من جملة الرفات ، وخلا بعمله من الحسنات والسيئات ، ولم ينفعه في لحده من بعده غير التقوى والطاعات ، وما قدم من برّ وصدقات ، وأسلف من صلوات ودعوات ، أفلا يعتبر العاقل بمصرع من قد مات ، وقد حوته القبور الدارسات ، أين العبيد والسادات ، فكيف يطمع في البقاء ، وقد قال صاحب الدلائل والمعجزات : « إن للموت سكرات » فانتبه مما أنت فيه يا أسير الغفلات ، وتزوّد للسفر الطويل فقد بقي وضربت للرحيل الكاسات :

ند مضى العمر وفات      يا أسير الغفلات      حصل الزاد وبادر      مسرعاً قبل الفوات

|                      |                   |                     |                  |
|----------------------|-------------------|---------------------|------------------|
| فإلى كم ذا التعامي   | عن أمور واضحات    | وإلى كم أنت غارق    | في بحار الظلمات  |
| لم يلسن قلبك أصلاً   | بالزواج والعطات   | بينما الإنسان يسأل  | عن أخيه قيل مات  |
| وتراه حملوه          | سرعة للفلسوات     | أهله سيكون عليه     | حسرة بالعبرات    |
| أين من قد كان يفخر   | بالجياذ الصافنات  | وله مال جزيل        | كالجبال الراسيات |
| سار عنها رغم أنف     | للقبور الموحشات   | كم بها من طول مكث   | من عظام ناخرات   |
| فاغنم العمر وبادر    | بالتقى قبل الممات | وأنب وأرجع وأقلع    | من عظيم السيئات  |
| واطلب الغفران ممن    | ترتجي منه الهبات  | ثم نادي في السدياجي | يا مجيب الدعوات  |
| اعف عنا يا رحيماً    | وأقلنا العثرات    | ما وجدنا من شفيق    | في مضيق الكربات  |
| غير جله المصطفى الها | دي بهي المعجزات   | فعليه صلوات         | زاكيات طيبات     |

وعلى الآل جميعاً وصاحب طهارات

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يصف ثواب المجاهدين ، وما أعد الله لهم من الأجر والفضل في الجنة ، فقلت : يا رسول الله أ يكون لغير المجاهدين من أمتك مثل أجرهم ؟ فقال : نعم من يذكر الموت في كل يوم عشرين مرة » . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات : فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غم الموت ، فغشيته كرباته وغمرته سكراته . فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها . فيقول ملك الموت : ويلكم ممّ الفزع وفيهم الجزع ؟ فما أذهبت لواحد منكم رزقاً ولا قربت له أجلاً ، ولا أتيت حتى أمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت ، وإن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منك أحداً ، قال النبي ﷺ : فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ، وهو ينادي : يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيري فالمال لكم والتبعة عليّ فاحذروا مثل ما حلّ بي » :

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| لو كلم الميت من يشيعه      | لقال لا تغترر فأنت أنا   |
| قد كنت أرجو وغرني أملّي    | عاجلني الموت ما بلغت مني |
| مالي لغيري جمعته وبقي      | عليّ من وزره شقا وعنا    |
| وهو بما قد جمعت في رغد     | يأكله لذة له وهنا        |
| فاعتبروا يا ذوي العقول فقد | شرحت حالي لكم وفيه غنى   |

[ وقيل ] : إن الموت له ألم لا يعلمه إلا الذي يعالجه ويذوقه ، وهو أشدّ من الضرب بالسيوف وأعظم ألماً من النشز والمناشير والقرض بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم مع بقاء قوّة في البدن فلذلك يستغيث المضروب ويصيح بخلاف الموت فإن الميت ينقطع وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب ، فإن الموت قد هذّ كل جزء من أجزاء البدن وأضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة للاستغاثة . أما العقل فقد غشيته وسوسة ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد أضعفها ويودّ لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح ولكنه ما يقدر على ذلك فإن بقيت له قوة سمع له عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقة وصدره وقد تغير لونه واربذ حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه ، وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعهما وتصفّر أنامله ويموت كل عضو منه على حدته . فأول ما يموت قدماه ثم ساقاه ثم فخذه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى تبلغ روحه الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وتحيط به الحسرة والندامة . وروي « أن النبي ﷺ دخل على مريض فقال : إني لأعلم ما يلقي ليس في عرق إلا وهو يتألم بالموت على حدته » . وروي « أنه ﷺ لما احتضر كان عنده قدح من ماء يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ، وفي رواية كان يقول : « اللهم هوّن عليّ سكرات الموت » ، وفي رواية : « أعني على سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول : واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم » ذكره البخاري ومسلم ، وكان عليّ ﷺ يحرص على القتال ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش . وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمنين وهو أشدّ ألماً من نشر المناشير وقرض المقاريض وغليان القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل بآلم الموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم . وروي أن موسى ﷺ حين مات وصارت روحه إلى الله عز وجل قال الله عز وجل : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلّى وهو حي فلا هو يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وفي رواية : وجدت نفسي كشاة تسليخ وهي حية وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ ق : ١٩ ] . أي بالحق من أمر الآخرة حين ينتبه ويراه عياناً ، وأما مشاهدة ملك الموت وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع فهو أمر قصرت عن كنهه عبارة كل فصيح وضاق عن سعة هوله كل فسيح ولم يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يترأى له في تلك الحال ، كما روي أن

إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر ؟ فقال : لا تطيق ذلك . قال : بلى قال له : فأعرض بوجهك عني فأعرض بوجهه عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود مهول ثيابه سود قائم الشعر منتن الريح يخرج لهيب النار من فيه ومن مناخره كالدخان ، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لكفاه . ونظر إبراهيم عليه السلام إلى إناس سيكون على ميت لهم . فقال : لو بكيتم على أنفسكم لكان خيراً فإن ميتكم قد نجا من ثلاثة أهوال : وجه ملك الموت وقد رآه ، ومرارة الموت وقد ذاقها ، وخوف الخاتمة وقد أمنها ، فينبغي للعاقل أن يبكي على نفسه فهو أولى به ويعلم أن الموت خلفه وفي طلابه :

ليبك على نفسه العاقل ليتنبه النائم الغافل يؤمل ذو الجهل آماله  
فيفجؤه موته العاجل علام الجدال وهذا المآل وفيه القتال ولا طائل

ودنياكموهي معشوقة ولكن حقيقة لها باطل

وبرق ولكنه خلب وودق ولكنه ماحل وطيف ولكنه هاجر  
وشهد ولكنه قاتل منام وأضغاث أحلامها أمانى يؤملها الجاهل  
فأين الشريف وأين الضعيف وأين المفضل والفاضل وأين الشجاع وأين الجبان  
وأين المهذب والعاقل فكل سيشرب كأس الفنا وكل بهذا الفنا نازل  
[ إخواني ] لا واعظ كالموت وما تتعظون ، وهو طالب لكم وأنتم عنه غافلون ، أنظنون أنكم في الدنيا مغلدون ، ولا بد من ورود كأس المنون ، تزودوا للرحيل فقد سارت القافلة ولا تغتروا بزهرة الدنيا فإنها زائلة ، وإياكم والآمال الباطلة ، فإن سمومها قاتلة ، إلى متى أنت مقيم على غفلتك وجهلك ، إلى متى تغتر بمالك وأهلك ، إلى متى تؤثر الدنيا الدنيئة وهي تسعى في قتلك ، إلى متى تنسى لحاقتك بمن كان من قبلك ، إلى متى لا يؤثر فيك كثير عتابك وعذلك ، إلى متى لا تذكر رحيلك عن جميع ما تملك ؟ حتى متى لا تفهم المواعظ ؟ وقد قيلت من وأجلك تيقظ يا غافل فكم لعب الهوى بمثلك :

يا نفس مالك عن حامك غافله وأراك في ثوب الأمانى رافله  
دنياك منزلة أقمت بظلمها فتزودي منها فإنك راحله  
إن لم يزل عنك الذي تحوينه منها وإلا كنت عنه زائله

قوله تعالى : ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ﴾ [التكاثر : ١ - ٢] يعني شغلكم

التكاثر بالأموال والأولاد عن الاستعداد للموت . قال رسول الله ﷺ : « استعيزوا بالله من عذاب القبر » . ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [ التكاثر : ٣ ] عند سكرات الموت وأهواله ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [ التكاثر : ٤ ] بعد الموت معاينة منكر ونكير في القبر .

[ وروي ] عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال : إن المؤمن إذا وضع في القبر وسع عليه قبره سبعين ذراعاً طولاً ومثله عرضاً وتنثر عليه الرياحين ويستتر بالحرير فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره في قبره ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه فيقوم من نومته كأن لم يشبع منها ، وإن الفاجر والفساق والكافر يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلاعه في جوفه ويرسل عليه حيات كأعناق الإبل فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً وترسل عليه شياطين صم بكم عمي معهم مطارق من حديد فيضربونه بها لا يسمعون صوته فيرحمونه ولا يبصرون ما هو فيه فيرقون له ويعرض على النار بكرة وعشياً . وقال رسول الله ﷺ : « يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرّك بي ألم تعلم أي بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ؟ ما غرّك بي إذ كنت تمرّ بي ، وإن كان صالحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول : رأيته إن كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيقول القبر إذا أتحوّل عليه روضة من رياض الجنة ويعود جسمه نوراً وتصعد روحه إلى الله عز وجل » . وعن كعب ؓ أنه قال : ما من يوم إلا والقبر ينادي خمس مرات بهذا الكلمات : يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني ، يا ابن آدم تضحك على ظهري ، ثم تبكي في بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وتأكلك الديدان في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري وتحزن في بطني . [ وسئل ] بعض الزهاد : كيف حالك ؟ فقال : كيف يكون حال من يريد سفراً بلا زاد ويقدم على ملك الموت غداً بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس :

أيامن غداً في باطن نازلاً      أئانس بالدنيا وأنت غريب  
وما الدهر إلا مثل يوم وليلة      وما الموت إلا نازل وقريب  
كأنك والأيام ما بين أن ترى      تساء بمال أو يبين حبيب

[ وروي ] أن عثمان بن عفان ؓ عنه وقف على قبر فبكى فقليل له : إنك تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد » :

حق على من يكون الموت مورده وظلمة القبر بعد الموت ملحده  
أن لا يسوى قط إلا خائفاً وجلالاً طوى السرور وأقصاه وأبعده  
يبكي لما قد جنى في الدهر من زلل بكاء من كان جسر النار مرصده

يا هذا احذر أن تصبح عن طريق الهدى حائراً ، أو أن تعاهد على التوبة فتضحى غادراً ،  
وقم إلى إخلاص نفسك مبادراً ، وكن لعواقب الأمور في كل حال ذاكراً ، ولازم خدمة مولاك  
حامداً له شاكراً ، واحذر أن تكون عند ربح المتقين خاسراً ، فكأن بك وقد أقبل إليك الموت  
متسلطاً قاهراً :

|                   |                     |                    |                   |
|-------------------|---------------------|--------------------|-------------------|
| آه للموت زائراً   | قد أباد العشائر     | كم سعى الدهر باطنا | ورأيناه ظاهراً    |
| ومحاً من محاسن    | قد طواه من سائر     | كم جمال بقهره      | قد أحل المقابر    |
| ثم أفنى أوائل     | وأباد الآواخر       | آه للناعم النض     | ير طوى منه ناظراً |
| آه للغضن إذ سما   | حله الموت كاسراً    | كم أتى من أكابر    | وأباد الأصاغر     |
| فاز من كان خائفاً | منه في الأمن حاذراً | واتقى الله حيثما   | منه قد كان حاضراً |

وجاء في الأثر : إن الروح إذا خرجت من الجسد ومضى عليه سبعة أيام تقول : يا رب  
اأذن لي حتى أنظر إلى جسدي ما حاله ؟ فيقال لها : اذهبي فتأتي الروح إلى القبر فتتنظر إليه من  
بعيد فتراه متغيراً يسيل من منخره ماء ، ومن فمه ماء ، ومن عينيه ماء ، ومن أذنيه ماء ،  
فكأنه في وسط لجة فتقول له صرت إلى هذا الحال بعد نضارة جسمك ثم تمضي حتى إذا كان  
بعد سبعة أيام آخر تقول : يا رب اأذن لي حتى أنظر إلى جسدي ما حاله ؟ فيقول الله تعالى :  
اذهبي فتأتي إلى القبر فتتنظر إليه من بعيد فتراه قد تغير ، وقد صار الماء الذي فيه صديداً  
والذي في عينيه قيحاً والذي في أنفه دماً ، فتقول له صرت إلى هذا الحال ثم تمضي حتى إذا كان  
بعد سبعة أيام قالت : يا رب اأذن لي حتى أنظر إليه هذه المرة ما حاله ؟ فيقول لها : اذهبي  
فتأتيه فتتنظر إليه من بعيد فتراه وقد صار الصديد دوداً وقد سقطت حدقاته على وجهه والدود  
يدخل في فيه ويخرج من منخره ، فتقول صرت إلى هذا الحال بعد النعيم والدلال .

[إخواني] انظروا إلى أحوالكم كيف تصيرون بعد الموت ، وكيف تطلبون العود وقد حصل  
الفوت ، فأنتم عما يراد بكم غافلون ، وفي بحار الأمل غارقون ، أصم في الأذان عن النصائح ،  
أعمى في القلوب عن جميع المصالح ؟ تالله ما ينفع المرء في قبره غير التقى والعمل الصالح :  
الموت بحر موجه طافح يحار فيه العائم السابح يا نفس إني ناصح فاقبلي

مني فلإني مشفق ناصح لا ينفع الإنسان في قبره إلا التقى والعمل الصالح  
 [ وقيل ] لإبراهيم عليه السلام : عظنا بما ينفعنا . قال : إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا  
 فاشتغلوا بأمر الآخرة ، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم ، وإذا  
 اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا أنتم بعمارة القبور ، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس  
 فاشتغلوا بعيوب أنفسكم ، وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة الخالق رب الخلائق  
 أجمعين ، فتيقظ يا هذا لنفسك قبل أنا نناديك المنادي ، وتدرّع دروع الصبر وجاهد الأعادي ،  
 وشمر في طلب خلاصك واقطع علق التماذي ، وعليك بما يفيدك وما تنجوه به يوم التنادي :  
 فمالك ليس يعمل فيك وعظ ولا زجر كأنك من جهاد ستندم إن رحلت بغير زاد  
 وتشقى إذ نناديك المنادي فلا تأمن لدى الدنيا صلاحاً فإن صلاحها عين الفساد  
 ولا تفرح بمال تقتنيه فإنك فيه معكوس المداد وتب مما جنيت وأنت حي  
 وكن متنبهاً قبل الرقاد أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد  
 وقال رسول الله ﷺ : « يهرم المرء ويشبّ معه اثنان الحرص وطول الأمل » فالحرص أحد  
 المهلكات وقال ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ عين ابن آدم  
 إلا التراب » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « أخذ رسول الله ﷺ يبعث جسدني  
 وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدّ نفسك من أصحاب القبور » يا حريصاً  
 على ارتكاب الآثام وعن هجوم الموت غافل ، وقد تحققت مفاجأة الأجل فما الحرص على  
 المال والزلل فعل عاقل ، تعجل الذنب نقداً وتؤخر التوبة إلى قابل ، أما علمت أن مطل الغني  
 ظلم وقد أغناك الله بالشباب والصحة والفراغ وأنت بالتوبة تماطل ؟ أين من ملك الدنيا ودوّخ  
 الجبابرة وقاد الجحافل ، أين الثائمه المعجب على العباد كبراً ، أين القاتل أين الصائل ؟ رشقتهم  
 والله المنون بسهامها فأصاب المقاتل ، وصرعهم بعد الفراش والتمارق بين الصفائح والجنادل :  
 يا عاشق الدنيا أما في حادث الأيام عاذل أنت القليل صبابه  
 بحطامها والحب قاتل خيمت في ظل المنى والعمر يا مغرور راحل  
 وركنت للدنيا وكم غدرت بذوي ودّ مواصل أمتع التنغص والأذى  
 يلتذ في دنياه عاقل قف واعتبر بمنازل درست وقد كانت أو اهل  
 أين الذين تدبروا الدنياه وما فازوا بطائل قادوا الجيوش وذلّلوا  
 أسد الشرى بظبي النواصل فجرت عليهم حادثاً ت الدهر فانقلبوا كلائل

قد فصلت أوصالهم بين الصفائح والجنادل

قوله عز وجل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ : [ ق : ١٩ ] أي معالجة سكرات الموت ورؤية ملك الموت وأن يكشف للعبد من مقعده في الجنة أو النار فهذه أمور مهولة ، وذلك عند مجيء سكرات الموت وهو الحق الذي ذكره النبي ﷺ من الإيمان بالغيب ، ثم بعده سؤال منكر ونكير ، وهو أول ما يلقي الميت إذا أُلحِد ، وأما سكرة الموت فهي ما تقدم ذكره لأن للموت سكرات ، وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل في دار الدنيا ؛ وسميت سكرة لأنها تذهل العقول وتغيب الذهن كحال السكران في سكرته وذلك أن العبد تظهر له أعماله عند الموت من الحسن والقبيح وجزاء عمله ؛ فالمغتتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار ، والسامع للغيبة يسلك في أذنيه نار جهنم ، والظالم تتفرق روحه بكل مظلوم ، وآكل الحرام يقدم له الزقوم كذلك إلى آخر أفعال العبد كل هذه الحالات تظهر عند سكرات الموت ، فالمتيح يجوزها سكرة بعد سكرة وعند آخرها تقبض روحه ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ يعني تحيد بطول الآمال والحرص على البقاء في الدنيا . وروي عن عيسى عليه السلام أنه مر على قبر سام بن نوح ، فقال له بنو إسرائيل : يا روح الله ادع الله أن يحيي لنا صاحب هذا القبر حتى نسمع منه حديث الموت ، فصلى عيسى عليه السلام عند قبره ركعتين ودعا الله تعالى أن يحيي سام بن نوح فأحياه الله تعالى فقام سام ينفض التراب عن رأسه وقد شاب رأسه ولحيته ، فقال له عيسى عليه السلام : ما هذا الشيب الذي لم يكن في زمانك ؟ قال : يا نبي الله سمعت النداء فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة . فقال له عيسى عليه السلام : منذ كم أنت ميت ؟ قال : منذ أربعة آلاف سنة وإلى الآن ما ذهبت عني سكرة الموت ولا مرارتها .

[ إخواني ] ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير ؟ وما هذا التواني والعمر قصير ، وإلى متى هذا التماذي في البطالة والتقصير ، وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير ، خلّفك والله عن باب الحبيب سوء التدبير ، فإلى متى تتبهرج والناقد بصير :

هي المنيات والقبور      ثم إلى ربنا المصير      والناس في غفلة نيام  
أضغاث أحلامهم غرور      والعمر يمضي ولست تدري      مثل سفين بنا تسير

يا نفس ما سرّ فهو حزن      لا تحسبي أنه سرور  
تذكر الموت واستعدي      له فقد جاءك النذير

[ إخواني ] تذكروا القيامة فالأمر شديد ، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد ،

وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد ، وتأهبوا للموت فكأنهم به وقد أخذ الأحرار والعبيد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ ق : ١٩ ] أين أحبابكم الذي سلفوا ، أين أترابكم الذي رحلوا وانصرفوا ، أين أرباب الأموال وما خلفوا ؟ ندموا على التفریط فيا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب في الوليد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ، واعجباً كيف دعيت إلى الله فتوانيت ، وكلما دعيت المواعظ إلى الله أبيت وتماديت ، وكم هناك مولاك عن غيك فما انتهيت ، يا من جسده حيّ وقلبه ميت ، ستعين عند الحشرات والسكرات ما لا تريد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ يا هذا كم أزعج الموت نفوساً من ديارهم ، وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها ، وكم نقل إلى الحفائر أرواحاً بذنوبها وأوزارها ، وكم أذل في التراب خدوداً بعد نصارتها واحرارها . فابك يا هذا على نفسك قبل أن تبكي فلا يفيد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ فانتبه يا هذا فالدنيا أضغاث أحلام ، واعلم أنها دار فناء لا تصلح للمقام ، ستفهم قولي بعد قليل من الأيام وما غاب عنك ستره على التمام ، إذا انكشف الغطاء وتحقق الوعيد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ويحك أما علمت أنك ترحل كل يوم مرحلة . أما علمت أنه يحصى عليك من أعمالك الخردلة ، وكم من مؤمل خانه في الحساب ما أمله ولم يبلغ من المقاصد ما يريد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ يا مضيعاً عمره في الخسران ، يا مطفئاً بهواه نور الإيمان . متى تفيق من خمار الهوى أيها السكران ، أما آن لك الرجوع إلى الله أما آن ، كأنك قد أخذت بالأمان منه التقليد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ يا معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض ، ذهب شبابك وولى في طلب الأغراض ، أما علمت ويحك أن عمرك في انقراض وقواك كل ساعة انتفاض ، فتزوّد لسفرك فالسفر والله بعيد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ يا من يحضر مجالس الوعظ بجسده وقلبه في الأسباب ، يا من مضى أكثر عمره وما تاب ، يا من كسته المعاصي ظلمة الحجاب ، يا من أغلق الهوى في وجهه من التقوى كل باب ، نح على نفسك وعدد فربما ينفعك النوح والتعديد ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ أما علمت أنا الموت لك بالمرصاد ، أما صاد غيرك ولك سيصطاد ، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد ، أما حذرک غفلتك عنه في كل مواطن وواد ، أما سمعت قول الملك المجيد : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

مِنْهُ يَحْيِدُ ﴿ فَيَا مُقْبِلًا عَلَى كُلِّ مَا يَضُرُّهُ وَمَعْرُضًا عَمَّا يَفِيدُ ، وَيَا مُضِيْعًا عَمْرَهُ ، وَهُوَ يَحْصِي عَلَيْهِ بِرَقِيبٍ وَعَتِيدٍ ، أَيْنَ الْمُتَحَصِّنُونَ بِكُلِّ حَصْنٍ مَنِيْعٍ وَقَصْرٍ مُشِيدٍ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ؟ أَمَا أَخْرَجَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ قُصُورِهِمْ ، وَقَطَعَ حَبْلَ أَمْلِهِمُ الْمَدِيدَ ، أَمَا أَصْبَحَ مِنْهُمْ ذُو الشَّدَّةِ وَالْبَأْسِ فِي ظِلْمَةِ الْأَرْمَاسِ وَحِيدٍ ، أَمَا سَمِعُوا قَوْلَ الْمَلِكِ الْمَجِيدِ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ ۞ .

### [ كَانَ وَكَانَ ]

|                    |                   |                   |                  |
|--------------------|-------------------|-------------------|------------------|
| اغنم وجودك         | وازرع عسى تحصد    | فالموت يأتي بغتة  | وليس عنه محيد    |
| من لك إذا ما ملك   | من كان يهوى       | وحزت لحبك         | مفلس غريب        |
| إن كنت يا صاح      | يوم القيامة تتنبه | إذا رأيت الخلائق  | في موقف التهديد  |
| يقال اقرأ كتابك    | كفى بنفسك         | ولقد أتيت الموقف  | بسائق وشهيد      |
| فدع دموعك تجري     | قبل أن يقال لمن   | ألم تكن قبل تدري  | أن الحساب شديد   |
| ترى الخلائق        | من هول ما قد      | وليس يعلم من هو   | منهم شقي وسعيد   |
| فمن أطاع المولى    | فذاك منه قد قرب   | ومن عصاه وخالف    | فذاك منه بعيد    |
| كل القلوب قد       | لكن قلبك قد قسا   | كأن قلبك أضحى     | بين القلوب حديد  |
| ويحك فنبه قلبك     | واسمع كلامي       | عسى قساوة قلبك    | تلين بالتشديد    |
| وإن تخف في القيامة | من شؤم ذنبك       | فلذ بجاه الهادي   | وصاحب التأييد    |
| فهو النبي المشفع   | فيمن عصى من       | في يوم يسجد وتظهر | بدائع التحميد    |
| يقال ارفع رأسك     | واشفع تشفع ثم     | يسمع وسل تعط      | ما تشتهي وتريد   |
| صلى عليه وسلم      | رب السموات        | ما سارت النوق     | قطع الفلا والبيد |

اللهم كن لنا إذا أودعنا الأحاد ، وجفانا الأهل والعوَاد ، وتخلت عنا أهل الصفا والوداد ، ولم يبق إلا عفوك يا كريم يا جواد ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### الجلس الخمسون

#### في ذكر الصالحات الثابتات الصابرات من النساء

الحمد لله الذي تعزز في ربوبيته أزلاً وأبداً ، وتقدّس في سرمديته فلم يزل فرداً صمداً ، الذي لا تدرك سرمديته أبداً ، ولا تحصى الأفكار لفرديته عدداً ، جلّ عن الأضداد والأنداد ،

والصاحبة والأولاد ﴿ تَعْلَى جَدْرَيْنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ : [ الجن : ٣ ] فمن شبهه أو مثله فقد استحق عذاباً رصداً . ومن ألحد في وصفه فلن تجد له من دونه ملتحداً . ومن نظر إلى ساحل بحر التوحيد بعين التشبيه والتحديد مات حسرة وكمداً . ومن نظر بعين التنزيه والتحميد اطلع على غوامض الحقائق وحاز حكماً وزيداً ، فالعارفون طاشوا في بيداء معرفته فعاشوا عيش السعداء . والخائفون ذابوا بنار قهر سطوته فماتوا موت الشهداء . والمحبون قد أدير عليهم راح الارتياح في زجاجات المناجاة فعاشوا عيشاً رغداً . فلو رأيتهم وعليهم آثار القبول وقد كساهم التحول أثواباً جدداً . وسقاهم الذهول كأساً لا يستعذبون بعده مورداً . فعيونهم دامعة . وقلوبهم خاشعة . وأكبادهم تذوب كمداً . أولئك قوم أراد بهم ربهم رشداً . نظروا إلى الدنيا بعين اليقين فعلموا أن الإنسان لن يترك سدى . ففتحو سمع اليقظة فسمعوا حادي الرحيل قد حدا . فخرجوا من ناديتهم وعرجوا على حاديتهم فإذا الدليل يناديتهم : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَى ﴾ : [ الليل : ١٢ ] . فأول قدم في سلوكهم أن خلع على صعلوكهم خلعة شرفوا بها على ملوكهم فخراً وسؤدداً حصلوا الزاد للسفر وحثوا رواحل السهر فلما هبت عليهم نسيمات السحر أدركوا أرباً ومقصداً :

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| وقد تغنى حمام المنحنى وشدا    | قد لاح نور الهدى من حبههم وبدا |
| من الحمى ورأى المشتاق ما قصدا | وقد تعطر عرف البان حين سرى     |
| ومغرمأ بات يقضي ليله سهدا     | فيا رعى الله صبا هام من حرق    |
| عساه يمنح من إرشاده رشدا      | يدعو إلى الله والأبصار هاجعة   |
| رأى سنا هديه الوضاح حين بدا   | من قد أطاع النبي الهاشمي ومن   |
| من جود إحسانه عمّ الوجود ندى  | هو البشير النذير المستضاء به   |
| شمس وما سار سار في الفلا وحدا | صلى عليه إله العرش ما طلعت     |

قوله عز وجل : ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [ النساء : ٣٤ ]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فالصالحات قانتات : أي مطيعات حافظات للغيب : أي للفروج في غيبة الأزواج . وقيل : حافظات لسرهم بما حفظ الله . والمرأة إذا حفظت فرجها وصانت نفسها لزوجها ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه فقد وجبت لها الجنة والكرامة على الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ : [ المعارج : ٢٩ ] إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾ : [ المعارج : ٣٥ ] .

[أوروي] عن بعض الصالحين أنه رأى جارية في البادية وهي تمشي وتعرج ، وليس عندها ولا معها أحد ، فقال لها : من أين أقبلت ؟ فقالت : من عند الحبيب ، فقال : وإلى أين ؟ قالت : إلى الحبيب ، قال : فما تستوحشين وحدك في هذه البادية والفلاة ؟ فرفعت صوتها ونادت بأعلاه : ﴿ يَٰعَلَّمَ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [ الحديد : ٤ ] ثم قالت : يا بطل من استأنس بالله استوحش ممن سواه ، ومن طلب رضاه صبر على قضاة :

يا مؤنس الأبرار في خلوتها      يا خير من حطت به النزال      من ذاق حبك لم يزل متلهجا  
أنت الحبيب وما سواك محال      أنشأتني ورحمتني وسترنتني      أحسن فأنت المحسن المفضل

ما لي سواك وأنت غاية مقصدي      والكل أنت وما عداك ضلال

أنست قلبي يا حبيبي والمنى      يا من له الإنعام والإفضال

[وعن عثمان الجرجاني] قال : خرجت يوماً من الكوفة أريد البصرة فرأيت في الطريق امرأة عليها جبة صوف وخمار من شعر وهي تمشي وتقول : إلهي وسيدي ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلاً ، وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيساً ، قال : فدنوت منها وسلمت عليها فردت عليّ السلام وقالت : من أنت يرحمك الله ؟ فقلت : عثمان الجرجاني ، فقالت : حياك الله يا عثمان أين تريد ؟ قلت : البصرة ، قالت : وما تصنع فيها ؟ قلت : حاجة لي فقالت : يا عثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة يوجه بها إليك ولا يتعبك ؟ قلت : ليس بيني وبينه تلك المعرفة ، قالت : يا عثمان وما الذي قطعك عن معرفته ؟ قلت : كثرة الذنوب ، قالت : بشئ والله ما صنعت أما والله لو وصلت حبالك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب ، فلما سمعت منها ذلك بكيت وقلت : أريد منك الدعاء ؟ فقالت : أعانك الله على طاعته وجنبك عن معصيته ، فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبها دراهم كانت معي فقسمتها بيني وبينها . وقلت : استعيني بهذه على حالك ، فقالت : من أين لك هذه الدراهم ؟ قلت : أنا رجل أصعد إلى الجبل فأحطط منه حطباً وأحمله على عنقي وأبيعه في أسواق المسلمين وأرغمق بثمانه ! قالت : نعم الكسب الحلال أحلّ ما أكل المرء من مكسب يده لكن يا عثمان لو صححت معاملة ذي الجلال ، واتكلت عليه حق الاتكال لكفأك مؤنة حمل الحطب من رؤوس الجبال ، قلت : فإذا لم يكن لي سبب فمن أين المطعم والمشرب ؟ قالت : يا عثمان أتريد أن أريك كيف صححت مع سيدي عقد التوكل عليه ؟ قلت :

بلى ، فمدت يديها وهممت بشفتيها . فإذا يدها مملوءة دنائير ، ثم قالت : خذ هذه يا عثمان ، فوالله ما طبع عليه اسم ملك ولا سلطان ، واعلم أنك لو أحببت مولاك لأغناك عن سائر الخلق وكفاك :

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| توكل على الله الكريم فإنه      | سيأتيك بالرزق الكفاف وبالجزل     |
| وسلم إلى مولاك أمرك إنه        | سيكيفيك أسباب الكريهة والثقل     |
| ومن يتوكل في الأمور جميعها     | على الله يحظى بالتبشير والفضل    |
| ويلقي جميع الناس بالرحب والرضا | ويحنو على الجيران والصحب والأهل  |
| فذاك الذي قد أذهب الله همه     | وجازاه بالإحسان في القول والفعل  |
| فلله درّ القوم فازوا بقصدهم    | من الله رب العرش في العقد والحلّ |
| إذا كان حقاً راضياً بعذابهم    | فذلك أحلى عندهم من جني النحل     |
| فسبحانه من عالم بصلاحهم        | ومن خالق فرد ومن حاكم عدل        |

فلله درهم من قوام ، قاموا ينجون الحبيب والناس نيام ، بإدبار النهار وإقبال الظلام ، ويجتهدون في خدمة الملك العلام ، فلا جرم جاء مدحهم في الكتاب العزيز البديع الأحكام . فقال تعالى في محكم الآيات : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ : [ الأحزاب : ٣٥ ] قيل كان في البصرة جارية يقال لها أسماء العابدة ، وكانت ذات حسن بديع وقدر رفيع حسنة العين حلوة اللسان ، وكان مولاهما ذا نعمة ويسار ، وسطوة واقتدار ، فمرت الجارية يوماً بمجلس صالح المرّي وهو يعظ وهو يعظ الناس فوقفت إلى جانب النساء تسمع وعظه وكان لموافقة الأقدار ، يتكلم في أهوال القيامة وصفة النار ، وما أعد الله فيها لأهلها من الأهوال والأنكال ، والسلاسل والأغلال ، فنظرت الجارية إلى الرجال والنساء وهم يتصارحون ويكون فرق قلبها وطاش عقلها ولبها فأجرت الدموع وتزايد بها القلق والولوع ، فالتفت صالح المرّي إليها فرأى دموعها جارية فسأل عنها ، فقالوا : هذه أسماء الجارية فالتفت إليها بوجهه وقصدها برشق سهام وعظه ، وناداه : أيتها الصارخة برخيم صوتها أرى عليك خوفاً من الآزفة كأنك بعظيم جرمك عارفة ، وأنت من ذلك خائفة ، فقد أتعبت الحفاظ والكتبة سنين وسهرت في المعاصي حيناً بعد حين ، فكم من فتى برخيم صوتك فضحتيه ، وبحسبك وجمالك قد فتتته وبعملك القبيح أسهرته ، وعن طاعة ربه وصلاته شغلته ، فحفاظك بسوء فعلك يشهدون ، ومن قبيح آثامك يضجون ، فبادري بالتوبة قبل حلول الندم ،

والخوف قبل زلة القدم ، وابكي على نفسك ومصابك ، لقد كانت السبحة والمحراب أولى بك ،  
فقلت : يا صالح إني كنت فيما مضى جاهلة غافلة ، وعن صلاح حالي ذاهلة ، ولم أعلم أن  
الأمر يكون هكذا ، بل كان سيدي يحب مني الغناء واختلاف الألحان على طول المدى ، وإني  
تائبة إلى الله عز وجل لم أنطق منه بشيء أبداً ، فقال صالح : يا أسماء اعلمي أنه من رفع صوته  
بالغناء ، وأصر على معصية المولى كان مأواه ناراً سوداء ، تذيب الأجسام والقوى وتورثه الذل  
والعناء فنادت : يا صالح قد برح وذهب الباطل واختفى ، وجاء الحق وقرب الوفاء ثم ذهبت  
إلى منزلها فلقيت غلاماً كان لمولاه ، فقلت له : يا غلام أنت تعلم أني كنت عليك مشفقة فآكتم  
عليّ أمري وخذ ثيابي هذه وأعطني جبتك ولا تكشف لأحد سري فخلعت ما كان عليها  
ولبست جبة الغلام وقطعت شعرها ودخلت منزلاً خفياً من منازل مولاه فصارَت تقوم الليل  
وتصوم النهار وتتضرع في الأسحار بالبكاء والاستغفار . هذا ومولاه يطوف عليها الأماكن  
وهو حزين على فراقها فلما خالطها الاصفرار والذبول واكتست أثواب النحول أقبلت إلى  
مولاه وقد أنحلها الصيام والقيام وأطفأ حسنها الوجد والغرام فسلمت عليه فرد عليها السلام  
وقال لها : من أنت ؟ فقلت : أنا سرور قلبك وراحة سرك ولبك ، أنا جاريتك أسماء ، فقال  
لها : وما الذي بلغ بك إلى هذه الحال ؟ قالت شؤم المعصية والخوف من جهنم وما فيها من  
الأهوال . فقال : والله لئن لم ترجعي عن هذا الأمر وتلبسي ثيابك وتركي التشويه بنفسك  
لأوثقنك كثافاً ولأذيقنك أنواع العذاب . فقلت : يا سيدي إن ضربك يفنى وعذاب مولاي  
لا ينقطع ولا يفنى أبداً فاصنع ما شئت ، فلما سمع ذلك من مقالها ، أمر الغلمان فشدوا  
وثاقها وضربها بالسوط ضرباً شديداً فرفعت رأسها إلى السماء ونادت : يا عظيم العظمة ، يا  
من له الأسماء الحسنى ، يا مولى كل مولى أغثني وأجرنى يا مجير الهلكى ، ومغيث المكروبين  
في السر والنجوى ، فلما رفع السوط ليضربها خدرت يده وأحس بمن جذبه من وراءه فالتفت  
فلم ير أحداً ، وإذا بمناد يناديه : يا عدو الله خل عن ولية الله فخر مغشياً عليه ، والدم يسيل  
على يديه ، فقامت أسماء تمسح الدم عن يديه ، وتقول له : يا مسكين عليك بطاعة مولاك  
وتب من ذنوبك وخطاياك ، فلما أفاق قال لها : يا منية النفس ما ظننت أنك وصلت إلى هذه  
المنزلة فوالله لا خالفت لك طريقاً ولا برحت لك ما عشت رفيقاً ، ثم اتفقا على العبادة  
والطاعة ورضيا من دنياهما بالقناعة :

لله درّ السادة العباد في كل كهف قد ثوروا ووادي

ألوانهم تنبيك عن أحوالهم      ودموعهم عن حرقة الأكباد  
 كتموا الضنى حفظاً لهم وتحملوا      سقم الهوى ومشقة الأجساد  
 هجروا المراقد في الظلام لربهم      واستبدلوا سهراً بطيب رقاد  
 ورأوا علامات الرحيل فبادروا      تحصيل ما التمسوا من الأزواد  
 فإذا استمال قلوبهم داعي الهوى      ذكروا البلى في ظلمة الأحاد  
 نظروا إلى الدنيا تغر بأهلها      بوصالها وتكرر بالإبعاد  
 فتجنبوها عفة وتزهداً      واستهونوا بالأهل والأولاد  
 ومضوا على منهاج صحب نبهم      فنجوا غداً من هول يوم معاد

[إخواني] إذا كان النساء عملن لهن همة كالرجال ، وقصدن باب ذي الجلال ، وظهر منهن صالح الأعمال حتى حسنت منهن الأحوال ، وبلغن المقاصد والآمال ، فكيف حالك أيها البطال ، المصّر على قبائح الأفعال ، المسوّف بالتوبة بكثرة الإهمال . قال السري السقطي : أرقت ليلة فلم أستطع الغمض فيها فقلت في نفسي : أخرج إلى المقابر لعلّ برؤية القبور والتفكر في البعث والنشور ، يزول همي وغمي . فخرجت إليها فما وجدت قلبي منشراحاً إليها . فقلت : أدخل الأسواق لعلّ باختلاط الناس يزول عني الباس ، ففعلت ذلك فما انشرح قلبي هنالك ! فقلت : أدخل إلى البيمارستان وأنظر إلى المجانين وإلى أفعالهم لعي أعتبر بأحوالهم فدخلت إليه فوجدت قلبي مقبلاً عليه فقلت : إلهي وسيدي إلى ههنا سيرتني ولأجل منامي أيقظتني فنوديت في سري : ما أتينا بك إلى هذا المكان إلا ولنا فيه نبأ وشان . قال السري : فتقدمت إلى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون ويدها إلى عنقها مغولة ، وهي بذكر الله مشغولة ، فسمعتها تنشد وتقول :

أعيذك أن تغل يدي      بغير جناية سبقت      تغل يدي إلى عنقي      وما خانت ولا سرقت  
 وبين جوانحي كبد      أحسن بها قد احترقت      وحقق يامني قلبي      يمينا برة صدقت  
 لئن قطعناها قطعاً      غراماً فيك ما نطق

قال السري : فقلت للقيم على المجانين : ما هذه الجارية ؟ فقال : جارية اختلّ عقلها فحبسها مولايها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشأت تقول :

معشر الناس ما جنت ولكن      أنا سكرانة وقلبي صاحي      قد غللت يدي ولم آت ذنبا  
 غير هتكي في حبه وافتضاحي      أنا مفتونة بحب حبيب      لست أبغي عن بابه من براح

فصلاحي الذي رأيتم فسادى وفسادى الذي رأيتم صلاحى

قال السري : فلما سمعت كلامها أبكاني وأقلقني وأشجاني ، فلما رأيت دموعي تنحدر على وجهي قالت : يا سريّ هذا بكاؤك على صفته فكيف لو عرفته حق معرفته ؟ فقلت : يا الله العجب من أين تعرفني هذه الجارية ؟ ولم يكن بيني وبينها معرفة سابقة ، فقالت : يا سريّ ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ، ولا قطعت منذ وصلت ، ولا حجبت منذ وقفت ، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً ثم أنشأت تقول :

تحقق حق الحق في نور باطني فأصبح قلبي للحبيب مصافيا  
قدمت على وصف وصفت لسيدي وهل ينعت العبد الضعيف المواليا

فقلت : يا جارية أراك للمحبة تذكّرين ، وللوجد تظهرين ، فلمن تحبين ؟ فقالت : لمن تعرّف إلينا بآلائه ، وتحبب إلينا بنعمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ، فهو قريب إلى القلوب ، مفرج لكروب حلیم على من عصاه ، قال : فقلت لها : من حبسك في هذا المكان ، فقالت : حاسدون ومبغضون تعاونوا عليّ ورموني بالجنون ، وهم أحق بهذا الاسم مني ثم أنشدت تقول :

يا من رأى وحشتي فأنسني بالقرب من وصله فأنعشني  
يا ساكني لا خلوت من سكني دهري ويا عدتي على الزمن  
أوحشني ما فقدت منه فقد عاد بإحسانه يقربني  
وعاد أيضاً وجاد منعطفاً كذاك منذ كنت حين عودني  
حسبي من الكون من شغفت به أصحبه مؤنساً ويصحبني  
وكننت في غفلة فنبهني وكننت في رقدة فأيقظني

فقلت لها : ما الاسم ؟ فقالت : دع الاسم عنك يكفيك فيما سمعت يغنيك ، فبينما نحن كذلك إذا أقبل سيدها ، فقال للموكل بها : أين تحفة ؟ فقال : قد دخل عندها الشيخ السريّ فكلّمها بكلام أصغت إليه ، فدخل سيدها فرأى السري عندها فعظمه وقبل يده ، وقال : يا سيدي لقد رحمت ببركتك ، فقال له السري : أي شيء أنكرته منها ؟ فقال : يا سيدي هذه جارية تضرب بالعود فأعجبني فاشتريتها بجميع مالي ، وهو عشرون ألف درهم لفرط حسننها وحسن ضربها بالعود وأملت أني أربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها في بعض الأيام والعود في حجرها وفي تغني وتنشد وتقول :

وحقك لا نقضت الدهر عهداً ولا كدرت بعد الصفو ودا  
ملأت جواني والقلب وجداً فكيف أقر أو أسلو أو أهدا  
فيا من ليس لي مولى سواه تراك رضيتني في الناس عبدا  
فلما فرغت من غنائها بكت طويلاً وضربت العود في الأرض فكسرتة وجعلت تهيم  
وتصيح وهي ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثراً ،  
فقال لها السري : يا جارية أهكذا جرى ؟ فأنشأت تقول :

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني قربني منه بعد بعد  
وخصني منه واصطفاني أجبت لما دعيت طوعاً ملياً للذي دعاني

وخفت مما جنيت قدماً فوقع الحب بالأمان

قال السري لسيدها : أطلقها وعليّ ثمنها أنا أزنه لك فصاح سيدها وقال : وافقره من أين  
لك ثمن هذه الجارية فقلت : لا تعجل تكون في هذا المكان حتى أزن لك ثمنها . قال السري :  
فمضيت إلى منزلي وعيناي تذرفان بالدموع وقلبي بسببها موجوع وبتّ ليلتي أتضرع إلى الله عز  
وجل وأتوجه إليه وأتوكل في قضاء حاجتي عليه ، فلما كان وقت السحر إذا بقارع يقرع الباب  
فقلت : من بالباب ؟ فقال : حبيب من الأحباب ، جاء في سبب من الأسباب ، ومن عند  
الملك الوهاب ، ففتحت له الباب فإذا هو شاب حسن الثياب نقيّ الأثواب ، ومعه خادم  
وشمعة وخمس بدر على رأس جمال . فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : أنا أحمد بن المشني  
قد أعطاني الجبار وما بخل عليّ بالعتاء ورزقني من الأموال ما يعجز عن حمله الرجال فبينما أنا  
نائم إذ هتف بي هاتف من قبل الحق تعالى فقال لي : يا أحمد هل لك في معاملتنا ؟ فقلت وقد  
زال النوم عني : ومن أولى بذلك مني ؟ فقال : احمل إلى الشيخ السري خمس بدر يعطيها لمولى  
تحفة ينفك أسرها من الرق ، وتحظى منا بالعتق ، فلنا بها عناية ، ولطف ورعاية ، فحملت  
إليك المال وأطلعتك على الحال ، قال السري : فسجدت شكراً لله عزّ وجل ، فلما صلينا  
الصبح وأضاء النهار أخذت بيد أحمد ومضينا إلى اليمارستان ، وإذا الموكل بها يلتفت يمناً  
وشمالاً فلما رأي ، قال : مرحباً بك ادخل إليها فإنها عليك لهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة ،  
فإنه البارحة أتاني هاتف وقال لي :

إنها مني ببال ليس تخلو من نوالي قربت ثم تسامت وعلت في كل حال  
فانتبهت وحفظت ما قاله الهاتف ، وكررته حتى رأيتمكم . قال : فدخلنا عليها فسمعناها تنشد وتقول :

قد تصبرت إلى أن عيل في حبك صبري قد كتمت الوجد لكن  
ليس يخفى عنك أمري ضاق من قيدي وغلي وامتهان فيك صبري  
إن تكن عني راض لا أبالي طول دهري أنت لي خير أنيس  
يا منى سؤلي وذخري من ترى يعتق رقي ويفك اليوم أسري

غـيرك اللـهم ربي أنت لي كاشف ضري

قال السريّ : فينما هي تنشد إذ أقبل مولاها ، وهو يبكي وينتحب فقلت له : لا بأس عليك قد أتيناك بمالك الذي وزنته في الجارية وتربح خمسة آلاف درهم . فقال : لا والله ، فقلت : تربح عشرة ، فقال : لا والله ، فقلت : تربح المثل ، فقال : لا والله ولو أعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيئاً هي حرة لوجه الله تعالى ، فقلت له : أخبرني ما الخبر ؟ فقال : يا أستاذ أتاني آت البارحة في المنام فوجئني في الملام ، وأغلظ عليّ في الكلام ، وقال : تهن ولية الله يا عدوّ الله فانتبهت مرعوباً مذعوراً قد هانت عليّ الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه وأنا هارب إلى ربي . ثم بكى وخرج على وجهه هائماً . قال السريّ : فالتفت إلى ابن المثنى فرأيت يبيكي وينتحب ودموعه تجري على وجنتيه ، وقد ظهرت آثار القبول عليه ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : ما رضىني مولاي لما ندبني إليه ولا وجدت للملي قبولاً بين يديه ، أشهدك أني قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله البديع وجلاله الرفيع ، فقلت : ما كان أعظم بركات تحفة على الجميع ، ثم قامت تحفة فترعت ما عليها ولبست جبة صوف وخماراً من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول :

هربت منه إليه بكيت منه عليه وحقه وهو مولى لا زلت بين يديه

حتى أنال وأحظى ما أرتجيه لديه

فما زلنا نتبعها حتى خرجت إلى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول :

يا سرور السرور أنت سروري يا حياة النفوس أنت حבורي  
أنت ناري وجنتي ونعيمي وأنيسي وأنت نور النور  
كم ترى يصبر المحب على البعد د وكم يلبث الهوى في الصدور

قال السريّ : ثم مضت حتى غابت عنا ، ثم أتى مولاها وصحبني ، وكذلك ابن المثنى برهة من الزمان إلى أن توفي سيدها وقضى نخبه وبقيت أنا وابن المثنى فعزمنا على الحج إلى بيت الله الحرام فينما نحن نطوف بالكعبة ، وإذا بصوت مقروح من كبد مجروح ، وهو ينشد ويقول :

قد تهتكت بحبك كيف لي منك بقربك فترفق بفؤاد يشتكي شدة بعدك  
 خبت يا نفس إذا آخذك الله بذنبك فسلي العفو جهرا والرضا من عند ربك  
 قال السري : فاتبعت الصوت فإذا امرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال . فلما رأته قالت :  
 السلام عليك يا سري ، فقلت : وعليك السلام من أنت ؟ فقالت : لا إله إلا الله وقع التناكر  
 بعد المعرفة أنت إلى الآن محبوب وقلبك غير مسلوب . ثم قالت : أنا تحفة . فقلت لها : ما  
 الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق ؟ فقالت :

أفادني كل المنى وخصّ قلبي بالغنى وقد أزال سيدي عن باطني ثقل العنا  
 إن لم يمداركني بـ أـ أرجو وإلا من أنا

فلما فرغت من إنشادها بكّت وانتحبت وهاجت واضطربت . ثم رفعت رأسها وقالت :  
 سيدي ومولاي فاز أهل التقى ونجا من أتقى ، وخاب من كان حظه الطرد والشقا ، فأسألك يا  
 سيدي إلا ما قربت الوصل واللقا ، فقد تولت عليك فخذني إليك فلا حاجة لي في البقا . ثم  
 صرخت ووقعت على الأرض فحركناها فإذا هي ميتة فنظر إليها أحمد بن المثنى فطار قلبه وحرار  
 له . ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب وصعد الزفرات ، وأظهر الحسرات ، ثم صرخ ووقع  
 على الأرض فحركته فإذا به قد مات . قال السري : فجهزتهما وصليت عليهما ودفتتهما  
 ورجعت ، وقد عجبت من حالهما وقرب آجالهما ، رحمة الله عليهما :

لله رجال قد صبروا وبسعدهم سبق القدر قاموا لله بأمر الله  
 ولولا الله لما قدروا كسروا بالذلّ نفوسهم جبروا والله وما كسروا  
 بحديثهم وبذكرهم المسك يفوح ويتشر ويقاع الأرض لفقدهم  
 تبكي فيرقّ لها الحجر ناحوا أسفاً صاحوا لهفا باحوا وبجهم اشتهروا  
 رفعوا قصصاً وشكوا غصصاً ورسول القوم بها السحرا لو تسمع فرط أنينهم  
 في نيلهم لما اعتذروا صدقوا والله بما وعدوا ووفوا والله بما نذروا

جادوا بالروح فما أبقوا وكذا بالمال فلم يذروا

نظروا ذهلوا ويحق لهم من مثلهم وبه ظفروا

فلله درهم من أقوام امثلوا ما به أمروا ، ونظروا إلى الوجود بعين الاعتبار وتفكروا ،  
 وتذكروا ما فعلوا من الزلل فتدبروا ، واعتبروا فأبصروا ، فهم الذين بمحبوبهم اتصلوا ،  
 وعلى مطلوبهم حصلوا :

|                            |                          |                            |
|----------------------------|--------------------------|----------------------------|
| على أبوابكم عبد ذليل       | قليل الصبر ناصره قليل    | له أسف على ما كان منه      |
| وحزن من صدودكم طويل        | يعدّ إليكمو كف افتقار    | ودمع العين من أسف يسيل     |
| يرى الأحباب قد وردوا جميعا | وليس له إلى ورد سبيل     | وكيف يضام جاركمو وأنتم     |
| كرام لا يضام لكم نزيل      | فإن يرضيكمو طردي وبعدي   | فصبري في محبتكم جميل       |
| وحق ولائكم وشديد شوقي      | سلوي عن هواكم مستحيل     | قطعت بحبكم أيام عمري       |
| فلا أسلو وقد بقي القليل    | يحدثني الصبا عنكم حديثا  | يصح بنشره الجسم العليل     |
| فأسكر من شذاها حين هبت     | وأنظر حيثما مالت أميل    | وتروى عن شفيع الخلق طرا    |
| حديثاً فيه للمضنى دليل     | هو المختار من كل البرايا | هو الهادي البشير هو الرسول |

عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائماً فيها القبول  
وصلاة الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم .

### المجلس الحادي والخمسون

#### في ذكر مولد النبي ﷺ بأوسع مما تقدم

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود ، المقدس في ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود ، البصير بحركات الذر في البحر والبر تحت ظلام حنادس الليالي السود . الحكيم الذي فجر الأنهار من صم الجلمود ، وأخرج رطب الثمار من يابس العود ، لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار ، ولا ينهيه المقدار ، ولا تفنيه الأعصار ، ولا تدركه الأبصار ، وهو الواحد المعبود ، المعطي الذي لا مانع لما أعطى ، ولا دافع لما قضى ، الكريم الذي جاد لعبده ، بمجزيل رفده وثوابه ، وكم رآه عن بابه معرضاً ، الحليم الذي يستر العاصي برحمته ، وقد رآه لمعصيته متعرضاً ، الغفار الذي يغفر الذنوب ، ويستر العيون ويعفو عما مضى ، القهار الذي قهر الجبابرة ، وكسر الأكاسرة ، وضرب بسهم